



جامعة عباس لغرور خنشلة  
ABBES LAGHROUR UNIVERSITY KHENCHELA

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عباس لغرور - خنشلة



جامعة عباس لغرور خنشلة  
ABBES LAGHROUR UNIVERSITY KHENCHELA

قسم اللغة والأدب العربي  
التخصص أدب عربي قديم

## الحضور الثقافي والأدبي لعبيد الأندلس

إشراف الأستاذة:

حورية ترواق

إعداد الطالبتين:

- حفيظة بوجزة

- شيماء بلهاني

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
حورية ترواق	استاذة التعليم العالي	مشرفا ومقرا

الموسم الجامعي: 2023 / 2024

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

Ramstarab.com

الإهداء



{وأخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين}

الحمد لله ما تنهى درب ولا ختم جهد ولا تم سعي إلا بفضلته وكرمه

أهدي ثمرة نجاحي إلى:

من قال فيهما الله: "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً". سورة الاسراء

الآية 23

إلى من هو جزء من القلب والفؤاد إلى من أحمل اسمه بكل فخر إلى أبي \*رحمة الله عليه\*

إلى جنة الله في الأرض \*أمي\*

حفيفة



إهداء



الحمد لله على لذة الانجاز والحمد لله عند البدء وعند الختام ....

إلى والدي الذي أضاء دربي وطريقي وقدوتي في كل خطوة أخطوها

إلى أمي الحنونة وسمائي التي لم تتركني يوما، ولا يكتمل يومي بدونها .

إلى أخواتي وإخواني اللذين وقفوا معي دائما وساندوني خلال مسيرتي التعليمية .

شيماء



## شكر وعرّفان

بداية الحمد والشكر لله على نعمة التوفيق

أتقدم بالشكر الجزيل والعرّفان إلى الأستاذ المشرف "رواق حورية" التي كانت عوناً  
ومرجعاً

ولم تبخل علينا بتوجيهاتها ونصائحها القيمة

والشكر موصول كذلك إلى اللجنة التي ستشرفنا بمناقشة هذا الموضوع

ونتوجه بالشكر إلى كل من ساعدنا في إعداد هذه المذكرة وأخص بالذكر كل من عائلتيّنا.



# مقدمة

تعتبر الحقبة الأندلسية من أهم الحقب الأدبية العربية، حيث كانت الأندلس مركزاً حضارياً ومنازة إسلامية وعلمية تحمل في طياتها العلم والأدب والثقافة، ولقد اهتم الكثير من المؤرخين بتاريخ الأندلس، لكنهم ركزوا على دراسة التاريخ السياسي وأهملوا الجانب الاجتماعي، خاصة الدراسات التي ترتبط بالطبقات العامة من الناس من فلاحين وغيرهم ومن بين هذه الفئات نجد عنصراً مهماً جداً كان له حضور قوي في الأندلس وهو فئة الرقيق أو (العبيد) الذين كانت لهم مهام كبيرة متنوعة ورغم تحملهم الكثير من المشقات إلا أنهم شغلوا أدواراً حساسة أوكلت لهم.

كانت طبقة الرقيق في كل المجتمعات البشرية من أدنى الطبقات رتبة ومنزلة، إلا أن جاء الإسلام فجعل لهذه الطبقة حقوقاً مقررّة، وشجع على تحريرها، وجعل تحرير الرقاب من أفضل وسائل التقوى والتقرب إلى الله تعالى، ومن أجل التعرف على هذا الموضوع والتعمق فيه أنجزنا هذا البحث الموسوم "الحضور الثقافي والأدبي لعبيد الأندلس".

وعن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع كان السبب الذاتي الرغبة في التعرف على حياة العبيد وحضورهم في الحياة الأندلسية والأدوار التي قاموا بها في الأندلس وكذا الدور البارز التي حظيت به الجوارى والغلمان ومنزلتهم في الشعر والشعراء. كما تمثل السبب الموضوعي في كون الموضوع بحثاً للدراسة الأكاديمية تم تقديمه لنا من طرف الأستاذة المشرفة ووافقت عليه اللجنة العلمية وقد لقي قبولا لدينا لتماهيه مع رغبتنا الذاتية.

من البديهي أن أي دراسة أكاديمية تبنى على مختلف التصورات للموضوع المراد دراسته، ومن أجل هذا لا بد من إطلاق مجموعة من الإشكاليات ومحاولة الإجابة عليها من خلال مختلف المصادر المستعملة في هذا البحث، وكانت الإشكالية تتمحور حول: الحضور الثقافي والأدبي لعبيد الأندلس، ومن هنا تحتم علينا طرح مجموعة من التساؤلات: ما المقصود بالرقيق؟ كيف عامل المسلمون الرقيق؟ ما مدى حضور العبيد في الحياة الأندلسية؟ ما هي الأدوار التي قاموا بها؟ ما هي فئات العبيد؟ وما أثر الجوارى والغلمان في الشعر الأندلسي؟

وللإجابة على هذه الإشكالية كان لا بد من تصور عام ومخطط عمل يحفظنا من الخروج عن حدود المرسوم فقسّمنا بحثنا إلى مقدمة ومدخل تمهيدي وثلاثة فصول وخاتمة.

كانت المقدمة صورة مكثفة عن موضوع البحث، لننتقل في المدخل التمهيدي إلى التحدث عن التركيبة الاجتماعية للأندلس وفيه عرضنا التركيب العرقي والبناء الطبقي للمجتمع الأندلسي.

لننتقل في الفصل الأول: إلى الحديث عن الرق ومفهومه ومعاملة الإسلام للعبيد، فمصادر الرقيق وأصنافه وأدواره بين القرنين الخامس والسادس الهجريين وقد بينا فيه مدى تأثير العبيد في الحياة السياسية ثم الثقافية وأخيرا أثرهم في الحياة الاجتماعية والاقتصادية. ليأتي الفصل الثاني المعنون بالخدم ودورهم الثقافي والاجتماعي في الأندلس ووظائفهم.

ليكون الفصل الثالث بحثا في الجواري والغلمان وأثرهم في الشعر والمجتمع الأندلسي.

وأنهينا هذه الدراسة بخاتمة عامة رصدنا فيها أبرز النتائج التي توصلنا إليها ثم أتبعنا ذلك ببعض الملاحق وملخص عام ثم قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها.

ولأن التاريخ الأندلسي لا يقتصر على نوع محدد من المصادر والمراجع المعينة، فكلما اتسعت وتنوعت موارد البحث زاد الثراء والفهم الحقيقي لدى الدارس وعليه فقد تم الوقوف على مجموعة من المصادر المهمة لعل أبرزها على سبيل التمثيل لا الحصر.

- الرق في بلاد المغرب والأندلس، لعبد الإله بنمليح، دار الانتشار العربي، بيروت، 2007.
- الرق ماضيه وحاضره لعبد السلام الترماني، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1979.
- تاريخ الدولة الأموية في الأندلس التاريخ السياسي لعبد المجيد نعني، دار النهضة العربية، لبنان.
- كتاب المرأة في الشعر الأندلسي لسلمى سليمان علي عصر الطوائف، الناشر مكتبة الثقافة الدينية.

ولخوض غمار هذه الدراسة استندنا على المنهج التاريخي الذي يتناسب مع هذا النوع من الأبحاث بحكم تناول ظاهرة تاريخية، مع بعض آليات المنهج الموضوعاتي والفني حين الوقوف على النماذج الشعرية التي تم الاستشهاد بها.

وكأي بحث لا يخلو الأمر من صعوبات واجهتنا منها اتساع المادة العلمية وتشعبها، صعوبة الحصول على المراجع الورقية فهي أيسر في التنقل بين الصفحات وأريح من النسخ الإلكترونية، قلة المصادر المتخصصة التي تناولت هذا الموضوع في حدود ما طلعنا عليه.

في الأخير، نتوجه بالشكر والتقدير لأستاذتنا الفاضلة الدكتورة "حورية رواق" التي تابعت مراحل إنجاز البحث، مرشدة وموجهة ومعينة ومصححة حتى اكتمل وطبع، والشكر موصول لكل من قدم لنا الدعم ولو بالدعاء.

والله من وراء المقصد



# مدخل

التركيبة الاجتماعية للأندلس:

1 : التركيب العرقي.

2: البناء الطبقي.

## توطئة

بلاد الأندلس من أرقى البلدان العربية الإسلامية تميزت بخصوصياتها الثقافية والاجتماعية كما كانت أيضا حلقة وصل بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، وذلك مما أدى إلى انتقال معظم معالم الثقافة العربية من أدب وفلسفة إلى البلاد الأوروبية.

واللافت أن المجتمع الأندلسي بعد الفتح كان مؤلفا من عناصر بشرية تعايشت وشكلت حضارة نوعية لاختلاف ثقافات وأعرافها، حيث توافدت على الأندلس أجناس مختلفة تفاعلت مع السكان الأصليين ما زاد التقارب والتمازج بين السكان، وعلى الرغم من بقاء الكثير على مسيحيتهم فقد تمت معايشة حياة المسلمين، وعاداتهم وتعلم العربية والتكلم بها، كما ساهمت المصاهرة والتزاوج بين المسلمين والمسيحيين على الامتزاج السريع، حيث كان كثيرون من العرب والبربر يفضلون الأسبانيات على الشقراوات.

## 1 - التركيب العرقي:

## أ - العرب

وصل عدد كبير من العرب الى الأندلس مع القائد العظيم موسى بن نصير إلى بلاد الأندلس وقد أطلق عليهم لقب البلديين، بعدها توالى هجرة العرب إلى الأندلس فقد جاء الجنود من بلاد الشام وقد لقبوا بالشاميين وقد استقر العرب في السهول الخصبة، خصوصا في المنحدر الوادي الكبير وقرب منحدرات أنهار التاجة وشنيل وإبرة قرب مرسيا وكان هناك خلاف بين المؤرخين حول الأماكن التي استقر فيها العرب، فمنهم من يرى أنهم استقروا بأخصب الأراضي وأغناها على عكس البربر الذين أرغموا على توطن المناطق الشمالية الجذباء الجافة وفي هذا السياق يقول كولان عن البربر: "دفعهم إلى الأراضي الجبلية المهاجرون العرب الذين تألفت منهم الأرستقراطية، لكي ينعموا وحدهم دون سواهم بحق التحكم في أخصب البقاع بالأندلس".

واستقبح فريق آخر هذه الادعاءات إذ يرى أن عنصري الفتح استقروا في المناطق التي توافق مزاجهم وقد نفي بعض الآراء اختصاص العرب أنفسهم بأغنى الأراضي كونهم

انتشروا في كامل الأندلس خاصة في المناطق التي عرفوها وساروا فيها على خطوط الفتح الأول مع موسى بن نصير، وكانت هناك مناطق أخرى استقر فيها البربر بجانب العرب وتوزعوا في الشرق والغرب والجنوب، حتى إن الجزيرة الخضراء كادت تقتصر عليهم وهذا ما يرجح إليه الرأي الثاني خاصة وأن البربر كانوا أسبق دخولا من العرب وأعرف منهم بالمنطقة وأعدادهم تزايدت وكان العرب الوافدون لم يتجردوا من أحقادهم بل حملوهم معهم إلى الأندلس التي حولوها إلى حلبة للصراعات العصبية القبلية حيث كان لهم أثر أسوأ على استقرار الأوضاع.

قام الخليفة عبد الرحمان الناصر (350-300هـ / 912-961 م): بتفتيت العصبية باعتماده على الصقالبة كجيش دائم وقد سار المنصور بن أبي عامر (366-392هـ / 976-1002 م) في النهج نفسه وعمل على التخلص من النظام القبلي في الجيش وذلك من خلال توزيع الأجناد من عرب وبربر وصقالبة على فرق الجيش وكانت تحتوي كل فرقة على جند من هذه العناصر ووزع جند القبيلة الواحدة على مختلف الفرق، فصار الولاء للقائد بدل القبيلة ليقضي على نظام الجيوش القبلية.<sup>1</sup>

## ب - البربر

تدفقت جموع البربر على الأندلس وكان أكثرها من زناتة مع الطلائع الأولى للفتح، ثم تبعتها صنهاجة أيام ضعف الدولة الأموية وازدادا هذا العنصر سلطة في عهد المرابطين، فاحتلت قبائلهم كثيرا من المدن وكان الجيش الفاتح بقيادة طارق بن زياد جلهم من البربر وتواصلت هجرتهم نحو صوب الأندلس لاعتبارات عدة أهمها:

- غنى الأندلس بالخيرات والثروات التي رأى فيها البعض مجالا لتحسين أوضاعهم المعيشية.
- رغبة البربر في الجهاد ونشر الإسلام استقرارهم في المناطق الشمالية المواجهة لنصارى.

<sup>1</sup> رجب مجيد عبد العليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني، دط، القاهرة، بيروت، دب، ص 169.

● قرب الأندلس وسهولة العبور إليها.

استقر البربر في المناطق المتشابهة لموطنهم الأصلي والمنفقة مع مزاجهم، كانوا يميلون عن سكن المدن والقرى ويميلون إلى سكن الجبال والصحاري لأنهم أصحاب ابل وماشية، وهذا الاستقرار لم يكن متوازنا وتفاوت من مكان إلى آخر، امتاز البربر باندماجهم السريع في المجتمع نظرا لقربهم من السكان الأصليين في المزاج والطبع ، كما أنه لم تكن لهم لغة ولا عرق ولا عصبية بحدة عصبية العرب تمنعهم من الامتزاج العفوي بالآخر، وهو ما جعلهم يلعبون دورا محوريا في نشر الإسلام بين السكان الأصليين،<sup>2</sup> بل إنهم اتحدوا مع العرب الأوائل والبربر الأوائل اندمجوا في المجتمع وانصهروا فيه والمتأخرين منهم والذين كانوا في الأساس جنودا فقد ظلوا متفوقين على أنفسهم رافضين الذوبان في المجتمع الأندلسي.

### ج - المولدون

هم سكان الأندلس الأصليون الذين اعتنقوا الإسلام وهو نتاج تزواج المسلمون الداخليين إلى الأندلس من عرب وبربر مع الاسبانيات، نظرا لأسباب أهمها:

كان الفاتحون عبارة عن جيوش منظمة ولم تكن تضم في صفوف النساء وجمال الاسبانيات اللواتي يمتزن ببياض البشرة واصفرار الشعر وهذه الصفات جديدة على العربي لم يألفها لذا استهوته.<sup>3</sup>

رأى المولدون أنهم أقل مكانة من العرب ودونهم حظا رغم كونهم الأغلبية، لذا كثرت ثوراتهم وانقلاباتهم على الدولة فالتاريخ يحفظ لنا عددا من ثوراتهم التي عبروا من خلالها عن سخطهم المتنامي والمتحيز للظهور كلما كانت الأوضاع مواتية، ومثال على ذلك هيجة الربض (منطقة في قرطبة ) التي حدثت في عهد الأمير الحكم (206-180هـ / 796-822

<sup>2</sup>حسين مؤنس، فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (711-756م.)، دار المناهل، ط1، بيروت، 2002، ص 429-430.

<sup>3</sup> أحمد أمين : ظهر الإسلام، ج1، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 2004، ص08.

(م) وأيضا ثورة ابن حفصون التي شغلت الدولة الأموية والى جانب العنف والتعصب العرقي والثقافي.

ولعبت هذه الفئة دورا كبيرا في حركية المجتمع الأندلسي والبعض منهم استقر في البادية فاحترفوا مهنا متواضعة كتربية الماشية وغرس الأشجار وقطع الأخشاب.<sup>4</sup>

#### د - أهل الذمة

هم رعايا الدولة الإسلامية من غير المسلمين وهو مصطلح فقهي يقصد به كل من أصحاب الديانات الأخرى الذين يعيشون في البلاد ذات الأغلبية المسلمة أو تحت الحكم الإسلامي، وكلمة الذمة تعني العهد والأمان وسموا بذلك لأنهم لهم عهد الله ورسوله بالعيش في حماية المسلمين ولهم مقابل هذا واجبات يؤديونها منها دفع الجزية والتزامهم بأحكام القانون الإسلامي ولهم حقوق يتمتعون بها يكفل المسلم بتأديتها لأنه ملزم بالوفاء بالعهد مصداقا لقوله تعالى ﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا﴾.<sup>5</sup>

#### هـ - اليهود

وهم الطائفة الثانية من أهل الذمة وشكلوا قسما هاما من سكان الأندلس في العصور الوسطى وبلغ عددهم خلال الفتح العربي على ما يزيد على مائة ألف، وبرز اليهود في الأندلس في وقت مبكر من عصر الخلافة الأموية وتعتبر مدينة غرناطة من ضمن المدن التي كثرت بها التقاليد اليهودية،<sup>6</sup> حتى لقت بمدينة اليهود وكان اليهود يقطنون في معظم مدن الأندلس على شكل تجمعات منعزلة عن المسلمين في الأرباض الخاصة بهم وكانت أحيائهم بعيدة عن الشوارع الرئيسية في المدينة الإسلامية.

لقد عانوا من مرارة الظلم والاضطهاد زمن القوط، ومنعوا من ممارسة التجارة وفرض عليهم التنصير الإجباري وهجروا، واعتبروا اليهود رقيقا للنصارى وفصل أبنائهم

<sup>4</sup> إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس، دار الطبعة، بيروت، د، ط، 1988، ص 43

<sup>5</sup> سورة الإسراء، الآية 34

<sup>6</sup> ريموند شابندلين، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، دار الجيل، بيروت ط 2، ج 1، ص 303.

عنهم لتنشئتهم تنشئة مسيحية وقد حفز هذا اليهود على الوقوف بجانب المسلمين لفتح الأندلس.

تغيرت أوضاع اليهود تغيرا جذريا تحت حكم المسلمين إذ صاروا يتمتعون بقدر وافر من الحرية جعلهم فاعلين في كل مناحي الحياة حتى السياسية منها إذ أصبح منهم الوزراء والسفراء وأهل الخدمة، ولعبوا دور الوساطة بين اسبانيا المسيحية والأندلس الإسلامية، وأقاموا ثقافة يهودية أندلسية.<sup>7</sup>

كما ربطتهم صلة بين المسلمين صلة تسودها المودة، فاتخذوا الأسماء العربية ولبسوا الأزياء العربية وتحدثوا العربية وعاشوا مثلهم مثل كل الأقليات في مختلف المجتمعات طوعا في أحياء خاصة بهم داخل المدن، رغم هذا لم يمنعهم باختلاطهم بالمسلمين، ومن بين المدن التي تجمعوا فيها وسكنوها نجد: غرناطة، قرطبة، اشبيلية، مالقة...

## 1 - الصقالبة

أطلق العرب تسمية الصقالبة على أسلاف الشعب أسلافي القاطن في روسيا حاليا هم عبيد وأرقاء خطفهم الجرمان من قومية السلاف، أصبحوا أحد عناصر المجتمع الأندلسي والمغربي والصقلي خلال العصور الوسطى، كانت تتكون من الخدم والمماليك الذين جلبهم النخاسون الجرمان واليهود أطفالا من بلاد الفرنجة، ومختلف ثغور البحر المتوسط ويبيعوهم في الأندلس وكان يؤتى بالصقالبة صغارا لتتم تنشئتهم تنشئة خاصة في قصور الحكام، فيتعلمون مبادئ الإسلام واللغة العربية ويتدربون على الفروسية، لينخرطوا في خدمة القصور أو سلك الجندية، واعتمد عليهم الأمويون في الجيش والحكومة.

انتهج عبد الرحمان الداخل سياسة الاستكثار من الموالى والاعتماد عليهم كخدم وجنود وبلغت ذروة مجدها في المجمع الأندلسي في عهد عبد الناصر لدين الله حيث وصلوا إلى

<sup>7</sup> بيير غيشار، التاريخ الاجتماعي لأسبانيا المسلمة من الفتح إلى نهاية حكم الموحدين (من بداية القرن الثامن إلى بداية القرن الثالث عشر)، دراسة شاملة، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 1998، ج2، ص970.

مناصب الحجابة والوزارة وقيادة الجيوش وقد أثروا في الحياة الاجتماعية أيضا خاصة وأنهم تواجدوا بشكل لافت.

## 2 - بنية المجتمع الأندلسي:

إن تصنيف المجتمع الأندلسي إلى طبقات لم يكن عفويا حسب رأينا، بل يخضع إلى معايير كانت بارزة في ذلك العصر ويمكن حصرها فيما يلي:

- حياة الأراضي أو الاقطاعات التي كانت ملكا للأفراد والجماعات ومن ثمة فالعقار باعتباره ثروة أصبح مالكوه في قمة الهرم الاجتماعي بغرض الأرباح والمكاسب التي تدور عليهم.
- المال عصب أساسي للبروز والدليل على ذلك أن اليهود استطاعوا التغلغل إلى السلطة، فهو وسيلة هامة لبلوغ المكانة.
- الوظيفة أو الدخل تعتبر معايير التي تصنف من خلالها الأفراد ضمن هذه الطبقة وذلك من خلال أهمية الوظيفة وربما الانتقال إلى وظائف الدولة كان وراء انتقال أشخاص إلى السلم الاجتماعي.<sup>8</sup>

## 2-1- البناء الطبقي:

الإسلام يحث على المساواة ويحارب كل صور التمييز، فلا تفاضل بين الناس إلا بالتقوى، دون أي اعتبار للاختلاف في العرق أو اللون فقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

<sup>8</sup> بوعدى بن عيسى أشرف الأستاذ د إدريس مصطفى: الحياة الاجتماعية في الأندلس من خلال كتاب القضاة بقرطبة للخنشني (ت 361هـ) مذكرة لنيل درجة ماستر في التاريخ السياسي والحضاري للأندلس، جامعة د، الطاهر مولاي سعيدة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، سنة: 2018/2017، ص46.

لقد عرفت المجتمعات الأندلسية أنماطا مختلفة من الطبقة الاجتماعية وبنى على ذلك كثير من الظلم والاستعباد والقهر والتسخير وأكل حقوق الناس وقد قسم المجتمع الأندلسي إلى طبقات وهي:

#### أ - الطبقة الأرستقراطية أو الخاصة

تميزت هذه الطبقة بحياسة الثروة فأدى بها ذلك إلى الغنى، وتشمل أفراد الأسرة الحاكمة وكبار الملاكين والأغنياء كما استعملت هذه الطبقة حيل كثيرة لزيادة نفوذها ومحاربة خصومها الطامعين في السلطة، كمصادرة ممتلكات منافسيهم أو غيرهم من الأغنياء الكبار، كما أجبروا الملاكين الصغار على ترك أراضيهم بمختلف الوسائل وانتشر في عصرهم البذخ وتعددت حياة اللهو وتفننوا في المباني الفاخرة التي استنفرت أموالا كثيرة، وانتشر أيضا عندهم شرب الخمر انتشارا فظيحا وتعد هذه الطبقة الأكثر ثراء في المجتمع الأندلسي وبه استطاعت بسط نفوذها السياسي والإداري والاقتصادي في الأندلس.

#### ب - الطبقة العامة: (الطبقتان الوسطى والسفلى)

العامة هو اللفظ الأندلسي لتعين الأغلبية الأقل امتيازاً، وهي عكس الخاصة وكانت ملامح العامة في عهد الطوائف متشابهة في جميع الممالك، رغم اختلافاتها في المستوى الاجتماعي والاقتصادي، كما أن المعنى الأساسي للفظ العامة يدل على طبقة غير محظوظة ولكن رغم ذلك فإننا نجد نمو طبقة وسطى ناجحة وفعالة ومؤثرة.<sup>9</sup>

#### \* الطبقة الوسطى

تنظم كبار التجار وأصحاب الأعمال والمشاريع وموظفي الدولة التابعين والملاكين الصغار بما فيهم المزارعون الكبار وكانوا يتمتعون بمستوى اجتماعي متوسط، وتمثل هذه الفئة الأشخاص الذين ارتبطت مصالحهم بمصالح الفئة الحاكمة فهم يقاربون منها أكثر مما يقاربون من عامة الناس، والذي يميزها عن سائر الفئات هو المستوى الاجتماعي والمعيشي

<sup>9</sup> أحمد بن عبود، التاريخ السياسي والاجتماعي لآشيبيلية في عهد دول الطوائف، المعهد الجامعي للبحث العلمي، تطوان - المغرب، 1983، ص181.

وأفراد هذه الطبقة لم تسمح لهم الظروف بالحصول على ثروات ضخمة، وبالتالي فإنهم عملوا على حماية ما يملكون ويسعون إلى توسيع ثرائهم على حساب غيرهم من العامة، قصد الوصول إلى مستوى الطبقة الارستقراطية.

### \* الطبقة السفلى:

كانت تتألف هذه الطبقة من مجموعتين من السكان، ولم تكن لها امتيازات في المناطق الحضرية أو الريفية، تعتبر هذه الطبقة أكثر الطبقات فقرا في المجتمع ويمثلون السواد الأعظم منه، ويضاف إلى ذلك معاناتهم من الظلم والتعسف، خاصة الزراع منهم، فكانوا يتحملون وزر سوء الأوضاع والاضطرابات وقد تولد من خلال هذا ظواهر خطيرة كالسرقة التي لم تنحصر في المدينة بل انتشرت في الريف وكان سببها البحث عن حياة أفضل والهروب من الجوع، بعدما فقدوا أرزاقهم بسبب الفتن، وقد عانت كثيرا هذه الطبقة من الاضطهاد والظلم وكذلك من ظلم الأمراء الذين يجعلون من شعوبهم عبيدا يستغلون ثرواتهم.

### ج - العبيد

إن فئة العبيد من بين الفئات المكونة لحركية المجتمع الأندلسي، فهي فئة اجتماعية لها نشاطها وحركتها ووضعياتها وأدوارها ولم تخلق دار ثري في الأندلس من عبيد، وكانوا يجلبون من عادة من بلاد بعيدة وجلبهم من السود الإفريقيين أو من أوساط أوروبا ويطلق عليهم اسم الصقالبة.

ومن أعمال العبيد الخدمة المنزلية كخدمة البيت المتمثلة في الطبخ والكنس وغسل الثياب والنسيج، كما تولى العبيد أيضا خدمة الدواب والقيام بشؤونها وجمع الحطب للتدفئة، وتولوا أيضا فتح باب المنزل ويستقبلون الزوار ويتسوقون لقضاء حاجات الأسرة.

وقد استطاع العبيد أن يكونوا طبقة هامة في المجتمع الأندلسي و كان لهم الدور الخطير في مساندة السلطة الارستقراطية وتوطيد نفوذها، وارتقى هؤلاء العبيد إلى

المناصب السياسية واستقلوا في كثير من المدن الأندلسية أثناء السيل الجارف للفتنة البربرية كالفتيان العامرية.<sup>10</sup>

<sup>10</sup> كمال السيد أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية في العصر الإسلامي 95 هـ، 495 هـ، 714م- 1102 م، دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، مركز الإسكندرية للكتاب، د ط، الإسكندرية، دت، ص 241 .

# الفصل الأول

الرقيق في الأندلس: المصادر، الأصناف، الأدوار، في الفترة الممتدة بين القرنين  
الخامس والسادس الهجريين

أولاً: الرق المدلول اللغوي والاصطلاحي.

ثانياً: الرق في الإسلام ومعاملته.

ثالثاً: مصادر الرقيق.

رابعاً: أصناف الرقيق.

خامساً: أدوار الرقيق.

## أولاً- الرق المدلول الغوي والاصطلاحي:

## 1 - الرق في اللغة

وهو العبودية وسمي العبيد رقيقاً لأنهم يرقون لمالكهم ويدلون ويخضعون والرقيق هو المملوك وقيل في اللغة الضعف: ومنه رقة القلب وقد وردت هذه الكلمة في اللغة العربية الرق يعني الملك وهو العبودية،<sup>11</sup> وهي مشتقة من الفعل رق يرق رقا، أي الخضوع والضعف.

## 2 - الرق في الإصلاح

هو نظام يسمح لشخص ما أو لجماعة من الملوك من حرمان فرد من حريته وحقوقه وإجبارهم على الطاعة والرضوخ لأوامرهم، وهو أيضا حالة امتلاك إنسان لإنسان، ويطلق على المالك اسم السيد وعلى المملوك اسم العبد وعليه هذا الشخص يحرم من حريته ويكون ملكا لغيره.<sup>12</sup>

## ثانيا - الرق في الإسلام ومعاملته

استفادة العديد من العبيد من دين الإسلام و بسببه تحسنت أوضاعهم مقارنة بما كانوا عليه في مجتمع ما قبل الإسلام وقد تطور الفكر الإنساني حول الدين والإسلام وأصبح الناس يرون أن تملك العبيد يتعارض مع الإسلام الذي يدعو إلي المساواة ما دفع المسلمين التخلي على تجارة العبيد، وتملك العبيد يمكن استخدامه في ظروف معينة.

ويعرف الفقهاء الرق في الإسلام: عجز حكمي يصيب من يقع حبيس في حرب فيفقد حريته ويزول بالفداء أو العتق.<sup>13</sup>

<sup>11</sup> ابن السيد أبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي: المخصص، دار الكتب العلمية، لبنان 'مج 3، ص143.

<sup>12</sup> علي كسار غدير الغزالي: الجذور التاريخية لظاهرة الرقيق عند الشعوب القديمة وعرب الجزيرة قبل الإسلام (دراسة مقارنة)، مجلة الدراسات الأفريقية، العدد15، 2013، ص76.

<sup>13</sup> عبد السلام الترماني: الرق ماضيه وحاضره، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1979، ص 32.

والشريعة الإسلامية اعتبرت العبيد المسلمين بشر كغيرهم من الناس يمتلكون الحقوق ويتساوون مع الأحرار في القضايا الدينية ويتفوقون على غير المسلمين سواء كانوا أحرار أم عبيد.

إن الإسلام نص على حسن معاملة الرقيق وإعطائه حقوقه الكاملة والرسول صلى الله عليه وسلم حث على اعتبار الخادم أخا لسيده والخادمة أختا لسيديتها أو بنتا وقال في حديثه:

"ولا يقل أحدكم: عبدي، وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي"<sup>14</sup>

ومن هنا نصل للقول بأن الإسلام حفظ لرقيق جناحه فأوجب المولى حسن معاملة الرقيق وحفظ كرامتهم فهو مخلوق مكرم.

الإنسان في الأصل خلق مكرم بتكريم الله له وعلى العبد الرقيق أن يبني في نفسه أنه مخلوق مكرم، وما هو فيه من رق ليس إلا حالة مؤقتة ينبغي له أن يعمل جاهدا على زوالها بالطرق التي شرعها الله له ولقد خلق الله الإنسان في الأصل حرا فليس له أن يكون عبدا لأحد إلا لله وحده وقد خلق الله الناس متساويين ليس لأحد فضل على أحد ويجب الإحسان للرقيق وحسن معاملته، وإذا لم يتحرر الرقيق من العتق وبقي رقيقا في يد مولاه لا يعني الإساءة إليه وتنغيصه عيشته وتكدير حياته، ومن رحمة الله عليه في التكاليف فلا تجب عليه صلاة الجمعة ولا يجب عليه ركن الإسلام الخمس وهو الحج والله يرشد بهذا بني البشر، ويضرب لهم المثل الأسمى في أن يخففوا على من ملكهم الله أمرهم كما خفف الله عنهم في حقوقه عليهم.

### - الحث على حسن معاملة الرقيق

لا يجوز التفريق بين الرقيق وبين كل ذي رحم محرم كالولد مع أمه، أو الرجل مع زوجته وللعبد أن يطلب من سيده تزويجه طلبا للعفة، وعلى سيده أن يزوجه أو يملكه أمة يستراها،

<sup>14</sup> محمد الصالح الصديق: توجيهات نبوية في الدين والأخلاق والاجتماع، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1969،

وليس لسيد أن يجبره على الزواج إذا أبا وإذا طلبت الأمة الزوج فالسيد مخير بين تزوجها أو الاستمتاع بها.

نهى عن ظلمهم وأذاهم فعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته عتقه».

ودعا الإسلام إلى تعليمهم وتأديبهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كانت له جارية فعلمها، وأحسن إليها وتزوجها، كان له أجران في الحياة وفي الآخرة."

لقد عامل الإسلام الأسرى معاملة إنسانية رحيمة، فهو يدعو إلى إكرامهم وبسط لهم يد الحنان ولم يجعلهم موضع إهانة.

### ثالثاً: مصادر الرقيق:

#### أ - السبي

هو أخذ شيء من بلد إلى آخر قهراً ويأتي السبي بمعنى الأسر، وقد جاء عند ابن منظور أن السبي: هو أخذ الناس عبيداً ويأتي نتيجة الحروب الدائرة بين المسلمين وبين الكفار، وهو مختص بالنساء والصبيان والمأسورين في حرب شرعية وينقسم السبي إلى ثلاث عناصر هي: سبي مسلم، وعبيد سودان، وروم.<sup>15</sup>

ولقد عرفت الأندلس منذ الفتح حركة كبرى في المجالات العسكرية والبشرية، وكان هذا في ظل الصراعات القائمة بين مسلمي الأندلس وبين المسيحيين فكلما حقق المسلمون انتصارات في الحروب صد النصارى كانت ترجع بعدد كبير من السبي وأصبح من أهم المداخل الأندلسية، فاشتهر الفاتحين أمثال موسى بن نصير، وطارق بن زياد بجلب عدد كبير من السبي حتى وصل عددهم عشرات الآلاف. يعد السبي من أهم مصادر الرقيق لأنه يوفر كم كبير منه نتيجة الحروب بين المسلمين والكفار.

<sup>15</sup> عز الدين عمر موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس للهجري، دار الغرب الإسلامي

بيروت، 2003، ط 2، ص 115.

## ب الخطف

كانت ظاهرة الخطف شائعة في الأندلس وشاعت هذه الظاهرة في فترة الحروب وكان تجار الصقالبة يخطفون أبناء جنسهم ويدخلونهم تحت العبودية ببيعهم في أسواق الرقيق ويحدث هذا خاصة في فترات الحرب، وقد كشفت النصوص التاريخية أن خطف الناس يكون في حالات ثلاثة خطف العبيد، الأسرى، الأحرار.<sup>16</sup>

وكانت مراكب لقراصنة اسبانيين في عصر عبد الرحمان الناصر لدين الله يقتحمون السواحل ويخطفون الناس، ويبيعونهم في سوق الرقيق بالأندلس.

## ج - الهدية

تعتبر الهدية مصدر من مصادر الاسترقاق، لأنها تحرم الإنسان المسترق حريته فتحول الحر إلي عبد سواء رجل أو امرأة، فتحول الرجل إلي عبيد والمرأة إلي امة، كان العبيد والجواري في الأندلس من بين ما يتهدى به ذو المقامات الرفيعة.<sup>17</sup>

ونذكر مثال عن الهدية، هدية "ابن شهيد" الذي قام بإهداء هدية ثمينة إلي الخليفة "عبد الرحمان الناصر" فكان من بينها من الرقيق أربعون وصيفا، وعشرون جارية بكسوتهن وزينتهن.

## رابعاً- أصناف الرقيق:

## أ - الرقيق الصقالبة

هو اسم أطلق على الرقيق من أصل روسي، وأطلق هذا الاسم أيضا على من يشبه الروس في بياض بشرتهم المائل إلى الحمرة، كما ذكر أن هنالك صقالبة روس، وصقالبة بلغار.

<sup>16</sup> عبد الإله بن مليح : الرق في بلد المغرب والأندلس، ص167.

<sup>17</sup> أحلام حسن مصطفى النقيب: العلاقات التجارية بين الأندلس والممالك الاسبانية على عصري الإمارة والخلافة (138-

399هـ/755-1008م)، مجلة سر من رأى، كلية التربية، جامعة الموصل، العراق، العدد11، مج 4، ص29.

أطلق لفظ الصقالبة في الأندلس على الأسرى والخصيان و أطلق هذا الاسم أيضا على الرقيق نوي الأصول الأجنبية وقد كانوا يستخدمون في القصور كخدم، كما كانوا في الأندلس يربون تربية عربية جيدة منذ صغرهم، وأيضا تلقينهم مبادئ الإسلام.

وكان الأندلسيون يقبلون على شرائهم لإلحاقهم بقصور الحريم وتربية أبنائهم ويأتمنؤهم على نسائهم.<sup>18</sup>

وكان الخصيان الصقالبة يباعون بأسعار مرتفعة جدا تصل إلى أضعاف ثمن الرقيق العادي، ولعب أدوارا هامة في المجتمع الأندلسي وتمكنوا من احتلال مكانة في مختلف المجالات، وعددهم كان كبيرا جدا في بلاط الأمراء وخلفاء بني أمية في عهد عبد الرحمان الناصر لدين الله (300-350هـ / 912-961م) واعتمد على الصقالبة الذين كان يعتقهم، ويوكل لهم مهمات الدولة لأنه يعتبرهم فئات خارجة عن البلد ولن يزاخموه في السلطة ومن خلال هذا استطاع عدد كبير منهم أن يحتل مكانة عالية في المجتمع. والصقالبة لهم دور كبير واثر في المجتمع فمنهم من صاروا أدباء وشعراء.

### ب - الرقيق السوداني:

أطلق هذا الاسم على الذين يمتلكون بشرة ذات لون أسود أطلق أيضا هذا الاسم على العبيد الأفارقة وذلك نسبة إلى لون بشرتهم وسبب هذا اللون من شدة الحرارة العالية، وكان يؤتى بهم من أمم مختلفة فهم خليط من أجناس مختلفة من بلاد النوبة والجة، والبربر والزنوج وغيرهم، وعرفوا بالصبر والكد وهذه هي الصفات المطلوبة في الأعمال التي تتطلب جهد كبير مثل الزراعة والبناء وغير ذلك والعبيد مرغوب بهم كثيرا وقد أصبحوا يصدرونهم ولهذا استكثر منهم الأمراء في الأندلس.<sup>19</sup>

كان لهذا العبيد دور بارز ومهم في السياسة واتخذوهم حرسا وجندا، واشتهرت عندهم الجوارى السودانيات وكانت أعمالهم تتمثل في التدابير المنزلية خاصة في صناعة

<sup>18</sup> عبد المجيد ننعني: تاريخ الدولة الأموية في الأندلس التاريخ السياسي، دار النهضة العربية، لبنان، ص389.

<sup>19</sup> عابدة العزب موسى: تجارة العبيد في إفريقيا، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 2007، ص110.

الحلويات وغير ذلك إلا أن بعض الخادمتين السودانيات عانين من ضروب المهانة والاحتقار.

ويطغى الحديث عن جوارى مدينة أودغست على غيرها من المناطق الأخرى فقد أفاضت المصادر في الثناء عليهن باعتبارهن جوارى حسان بيض الألوان مائسات القدود، لطاف ضخام الأرداف واسعة الأكتاف، ولم يكن جمال جوارى أودغست وأنوثنهن وحدهما وراء الإقبال عليهن، فقد أثار إتقانهن الطبخ ونجاحهن في تنويع وجبلت الغذاء.<sup>20</sup>

وجلب تجار الرقيق المسلمين عبيد السود من ساحل إفريقيا الشرقي وهذه الأرض أرض الزنج وأيضا جزء من المنطقة الواقعة من قرب مدخل البحر الأحمر وبالإضافة إلي مساحات أخرى في إفريقيا الداخلية.

### الرقيق البربري:

عرف الاسترقاق منذ بداية الفتوحات الإسلامية، لهذا اعتبر مصدرا مهما للتزود من الرقيق البربري خاصة الجوارى البربريات اللاتي تميزن بجمالهن فكان سماهم وكانوا يطلبهن للإنجاب ودفع مبالغ كبيرة جدا.

كما أن المنصور وعبد الرحمان قد ملك الدنيا بالبربريات، ورغم مكانة البربريات لم يكن لهن أي تأثير ثقافي أو سياسي والمشاركة في الحكم أو المساهمة في الحياة الثقافية والأعمال الخيرية بل اقتصر دورهن على الإنجاب فقط.

### خامسا - أدوار الرقيق:

كانت طبقة الرقيق في كل المجتمعات البشرية من أدنى الطبقات رتبة ومنزلة وأكثرها هبوطا، إلي أن جاء الإسلام فجعل لها حقوقا وشجع على تحريرها وحدد الإسلام للعبيد حقوقه اتجاه سيده.

### 1- دور الرقيق في الحياة السياسية:

<sup>20</sup> عيد الإله بنمليح، المرجع السابق، ص 201.

توفر في بلاد الأندلس كم هائل من السبي وخاصة في الفتوحات الإسلامية وقد حضى الرقيق بأدوار مهمة في الحياة السياسية وحتل مكانة كبيرة فيها وفي الخطاب السياسي لمختلف القوى التي تداولت حكم الأندلس وكان حضوره في المناصب والخطابات امراً مألوفاً تمليه الظروف.

### أ - رقيق البلاط

تنوعت أدوار الرقيق في البلاط في نيابة الخلفاء، وتوليهم منصب الحجابة إلى قيادة الجند ففي عصر الإمارة الأموية بالأندلس عرف الأمير الحكم استكثار المماليك حتى بلغوا خمسة آلاف: ثلاثة آلاف منهم فرسان وكانوا من الزوج والعبيد الأعاجم الذين لا يعرفون اللغة العربية،<sup>21</sup> وقد حضورهم في البلاط حتى عصر الخلافة واتخذهم الخلفاء الأمويين كأداة وأهل لملكهم في الظروف العصيبة التي أحاطت بهم والثورات التي أثارها خصومهم ومنافسوهم، واحتشد البلاط الأموي في عهد الحكم المستنصر بالخدم والحشم من المماليك والصقالبة،<sup>22</sup>

احتل الصقالبة مكانة عالية في المجتمع القرطبي وتعددت الأدوار الحربية للرقيق من بداية الإعداد للمعركة إلى غاية المواجهة الحربية، وأشرف الموالي على دار الحرب وأسندت لهم مهمة تخزين الأسلحة وله دور عسكري.

وكان الناصر يثق بالصقالبة بنوع خاص ويوليهم من السلطة والنفوذ مالا يوليهم سواهم ود تولى مجموعة من الصقالبة أعمال المدن وحتى الأقاليم.

ولا ننسى دور التسلط السياسي النسوي في البلاط الأموي الذي كان السبب في تغير الكثير من الأحداث وكانت المرأة تستغل مكانة ابنها من أجل توسيع نفوذها.

### ب - الرقيق في الجيش الأموي

<sup>21</sup> عبد الإله بنمليح، المرجع السابق، ص 105.

<sup>22</sup> عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 4، 1997، القسم الثاني، ص 448.

استغل الرقيق حضوره في الخلافة الأموية وصل الكثير منهم إلى مناصب جد مهمة ومثال ذلك قيادة الجيش في عهد الناصر نجد الصقلي ومن بين أشهر الصقالبة على الإطلاق الذين تولوا مناصب عليا في الجيش الأموي كان في عهد الحكم المستنصر هو فارس الأندلسي، غالب بن عبد الرحمان الناصري وهو أول من الجند الصقلي الذي وصل إلى القيادة العليا وشغل بعضهم في وظائف أخرى وكانوا يقومون بمهمة الحرس الخاص للخليفة عبد الرحمان الناصر وفي عهده تولى العبيد قيادة الجيش<sup>23</sup>، وكان أغلبية العبيد في الجيش الأموي من الصقالبة الذين كان يؤتي بهم أطفالا صغار ويقومون بتربيتهم تربية عسكرية، واعتمدوا عليهم كثيرا في الجيش وكانوا يمثلون الجانب الأساسي في الجيش الأندلسي.

## 02 - دور الجوارى في الحياة السياسية:

تدخلت المرأة الأندلسية في السياسة وذلك من أجل الحصول على مكانة هامة لدى الحكام، شهد البلاط الغرناطي منافسة نسوية كبيرة من أجل الحصول على هذه الخطوة، مما يؤهلهم لتسيير الحكم مع ما يتماشى ومصالحهم. لم يكن بإمكان أي امرأة تولي مناصب سياسية هامة بالمغرب والأندلس نظرا لاعتبارات دينية واجتماعية، إلا أن هناك من الجوارى من تمكن بحسن تدبيرهن وتخطيطهن من أن تصبح لهن يد التولي في البلاد ومن أبرزهن: طروب.

اقتصرت العبيد على خدمة الأميرات أما الجوارى فمنهن من كانت للخدمة وإدارة شؤون القصر، وتميزت أخريات بجلب المتعة وغالبا ما يكون التنافس بين هؤلاء شديدا لنيل الخطوة لدى السيد فتصبح حظيته وأم أولاده ومن أشهر الجوارى التي صار لهن نفوذ سياسي كبيرا هي: اعتماد الرميكية التي ولع بها المعتمد حتى قام بنقش اسمها في صومعة اشبيلية وتمكنت من التفريق بينه وبين وزيره بن عمار وصرفته من شؤون الدولة وورطته في ضروب الخلاعة والاستهتار كما عرف أيضا بكلفه الشديد بالنساء من جواريه كجوهرة التي بلغت من قلبه فقال فيها:

<sup>23</sup> عبد الله عنان، المرجع نفسه، ص 461

جوهرة قد عذبني  
منك تمادي الغضب  
فزفرتي في سعد  
وعبرتي في صعب  
يا كوكب الحسن الذي  
أزرى بزهر الشهب

### 03- المرأة ودورها الاجتماعي:

إن العائلة كانت الأساس في التنظيم الاجتماعي من خلال دورها المهم في تشكيل القيم الفردية، لما كانت المرأة تقضي جل وقتها في رعاية المنزل وتتمتع بحرية ضيقة داخل نطاق المجتمع الأسري عكس الأب الذي كان له الدور الهام في رعاية الأسرة وتحمل مسؤوليتها، وكان يتمتع بتقدير واحترام من طرف أفراد العائلة، وشيء نفسه يقال عن مكانة المرأة داخل الأسرة.

والمرأة تقوم بمساعدة زوجها في تربية الأبناء وتوفير القوت، وذلك ببيع الصوف ويوجد هناك بعض الملامح التي تقدمها النصوص عن المرأة الريفية التي تتجاوز أعمالها المنزلية وتساعد الرجل ففي فترة الحصاد، كانت المرأة توصل لزوجها الغذاء إلى الحقل ونشاطها خارج هذا الإطار فإنها دخلت ميدان العمل لمساعدة الزوج في الأعباء، فاحترفت عدة مهن من بينها الطبية والحجامة ووالدلالة والماشطة والمغنية والنائحة والكاينة والمعلمة. ويعود سبب عمل المرأة جاء نتيجة لمتطلبات مادية أسرية فرضها الوضع الاقتصادي والأسري وكان عملها لعدم الاستسلام للواقع ورفض التبعية لأزواجهم حيث مارسن حرفا خاصة بهن.

ومن هنا نستنتج أن حتى واختلفت منزلة المرأة إلا أنها أسست لنفسها مكانة في الهرم الاجتماعي وكونت شخصية المرأة المساهمة في بناء أسرتها وقاسمت الرجل في مهمته دون إن ننسى مساهماتها في ميدان الأدب والثقافة.

### 02 - دور الرقيق في الحياة الاقتصادية

لعب الرقيق دور مهم كبير في هذا المجال فهو سبب في تحريك عجلة التطور والازدهار رغم أنه كان يصنف في أسفل الطبقات الاجتماعية، وقد أشارت المصادر أن أكثرية العبيد الذين ساهموا في تطوير الاقتصاد بالأندلس كانوا من الزنوج الأفارقة فقد مارس العبيد الأعمال الزراعية نظرا لقدرتهم على تحمل جميع المشقات باعتبار الأندلس بلدا زراعيا واستخدموا أيضا في الأعمال المنزلية، وكان الرقيق من أدوات المالكين للأرض يستخدمونهم لتنفيذ أغراضهم وهم قوة عمل في الإنتاج، عمل الرقيق في صناعة الحرف وكانوا قوة لا يمكن الاستغناء وقيمتهم تزداد إذا كان يجيد في الصناعة ومع مرور الزمن وأمام التطور الذي عرفته الأندلس في القرن الرابع الهجري والعاشر الميلادي فقد تحسن وضع الرقيق وأصبحوا زراعا لهم حرية التصرف في أراضيهم الزراعية.<sup>24</sup> فكان الرقيق يعتبر أداة من أدوات المالكين للأرض خصوصا، يستخدمونهم لتنفيذ أغراضهم، أهمها استخدامهم كقوة عمل في الإنتاج.<sup>25</sup>

خلاصة القول إن إقحام الرقيق في المنظومة الاقتصادية، كان ضرورة ملحة نظرا لما امتازوا به من طاقات جسمانية وأخرى فنية، بدءا من العمل الزراع، والهيكل الحرفية وانتهاء بالعمل التجاري.

### 03 - دور الرقيق في الحياة الاجتماعية

رغم كون العبيد بضاعة للبيع والشراء إلا أنهم احتلوا موقعا مهما في المجال الاقتصادي، فهم ركيزة اجتماعية جوهرية في الدولة التي عملت على إدماجهم في كافة الميادين والاستفادة من خدماتهم ومهاراتهم المتنوعة سواء تعلق الأمر بمجال التعليم أو الطبخ وتربية الأطفال أو في المجالات الاقتصادية وظلت الحاجة دائما إلى الرقيق للقيام بالعديد من المهام الاجتماعية التي تستوجب وجود طاقات بشرية إضافية كخدمة البيوت وتربية الأبناء والغناء والطهي وغيرها من الأعمال داخل وخارج البيوت، واجتمعت

<sup>24</sup> عبد الله بنمليح، المرجع السابق، ص91.

<sup>25</sup> عصمت عبد الطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988، ص286.

مختلف هذه الخصال في العبيد نظرا لما امتازوا به من صفات جسمانية وسلوكية على أداء الخدمة.

والجوارى لعبوا دورا مهما فقد سلبن قلوب سادتهن نجد مثال ذلك جارية عبد الرحمان الناصر كان لها حضور كبير وجعلته يكتب باسمها ربضا ملوكيا كاملا وغلب على المجتمع الأندلسي مظاهر البذخ، حيث قام الخليفة الناصر لدين الله بإهداء جاريته عقدا فاخرا،<sup>26</sup>

كما خلدت الجوارى أسمائهن في الحضارة الأندلسية فالجارية شعاع خلد اسمها عندما قامت ببناء جامع باسمها.

وقامت الجوارى بإدخال البرانس الذي كان شائعا بين الجوارى بشكل خاص و دخلت هذه الكسوة الجديدة ربما من ناحية المشرق عن طريق المغنيات اللواتي جلبن إلي الأندلس.<sup>27</sup>

كما أن الرقيق الصقلبي عنصرا هاما في المجتمع الأندلسي وترك أثر حضاريا في الأندلس لا يمكن إنكاره والظاهر أن الصقلبية لم يذوبوا في المجتمع الأندلسي بل كان لهم كيانهم الخاص، لهذا كانوا عنصرا هاما في المجتمع الأندلسي.

ومن هنا نصل للقول أنه من خلال الشهادات التي اعتمدها نماذج فقط لبعض مظاهر الرقيق في انخراطه في الحياة الاجتماعية للمغرب والأندلس قبل القرن 5هـ - 11م تبين مدى حضور هؤلاء وتحملهم أعباء شؤون البيت وما يرتبط بها من أعمال وخدمات اجتماعية إلي درجة يمكن القول أنهم كانوا بشكل أو بآخر أحد العناصر الفاعلة في المجتمع.<sup>28</sup>

#### 04 - دور الرقيق في الحياة الثقافية:

<sup>26</sup> خالد حسن حمد الجبالي: الزواج المختلط بين المسلمين والأسبان من الفتح الإسلامي للأندلس وحتى سقوط الخلافة (92 -

422هـ)، مكتبة الآداب، القاهرة، 2004، ص81.

<sup>27</sup> خالد حسن حمد الجبالي، المرجع نفسه، ص68.

<sup>28</sup> عبد الإله بنمليح، المرجع السابق، ص97.

لقد ميز الفيلسوف اليوناني أرسطو بين علم السادة وعلم العبيد فجعل علم السادة هو علم

استعمال الأرقاء في حين حصر علم العبيد في أمور خدمة السادة كالطبخ وما إليه من أصناف الخدمة.

### أ- تعليم الرقيق

حث الرسول صلى الله عليه وسلم تعميم التربية والتعليم ونشر نورهما وفوائدهما وأيضا على تعليم الرقيق وتثقيفه وتأديبه قال:

"ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين منهم رجل كانت له أمة، فغذاها ثم أدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها وتزوجها فله أجران."، وكان المسلمون في الصدر الأول يعاملون الرقيق بالحسنى ويحرصون على تعليمهم وأتيحت للرقيق فرصة التعلم وأخذ العلم وذلك من خلال مجالس العلم والأدب ومجالسة الرقيق لأسيادهم، ونالت الجواري هي الأخرى فرصة لتعليم وأصبحت تزين مجالس الأدب والعلم وقد أرسلوهن إلي المشرق للاستزادة من العلوم.

### ب - العطاء الثقافي

لا يمكن أن نتجاهل المشاركات العلمية والثقافية للرقيق فقد تلقى الفتيان الصقالبة عناية خاصة لدى الأمراء أنفسهم فقاموا بتعليمهم وتدريبهم فقد وصل بعضهم إلى مناصب خطيرة كالقضاء وكذلك قيام الرقيق بدور خطير يتمثل في إسناد السادة إليه تعليم أبنائهم، وكانت للرقيق مساهمات في الحياة الأدبية والشعر من الظاهرة الاجتماعية التي خلفها وكان له أثر كبير في الحياة الثقافية فتنوع الشعر بين الغزل والحنين للأوطان.

أما على مستوى العاطفي للجواري فقد برزت المرأة الأندلسية فمارست الحب والغزل والعشق بطريقة موهبة، وعاشت بعض النساء قلقا على تأخر زواجهن فقالت بعضهن في هذا المجال:

أرى روضة قد حان منها قطفها  
ولست أرى جان يمد لها  
يدا

فوا أسفا يمضي الشباب مضيعا  
ويبقى الذي ما إن أسميه  
مفردا

### ج - مساهمات الرقيق في الحياة الأدبية

للرقيق مساهمات في الحياة الأدبية فقد كان الشعر من الظاهر الاجتماعية التي خلفها  
وكان لها أثر في الحياة الثقافية فتنوع الشعر بين الغزل والحنين للأوطان.

### د - الرقيق في موضوع للشعر

كان الرقيق المذكر والمؤنث موضوعا ملهما للشعراء ورغم مكانتهم في المجتمع إلا  
أنهم ساهموا في إنتاج الشعر خصوصا في الغزل

### هـ - التغزل بالجواري

كان الأندلسيون مولعون بالجواري فصاروا يقولون الشعر تعبيرا على ما في  
عواطفهم بين وصف المحبوبة ورجاء الوصل أحيانا فتمخض نوعين من الغزل غزل عفيف  
وغزل ماجن ومن الأشعار المعبرة عن الوجد والغرام نجد أبيات لشاعر المعتمد بن عباد  
يصف صدود محبوبته عنه قائلا:

لج الفؤاد فما عسى أن يصنعا  
ولقد نصحت فلم أرد أن  
أسمعا

أسفي أود ولا أود وأغتدي

وأروح أحفظ عهد من قد ضيعا

يا هاجرين قد اشتفتيم فأرفقوا

حبا وأقنع بالسلام فأمنعا

ردوا بردكم السلام حشاشة

وهبوا لعثرة عاشق

لم تبق لولا أن فيكم مطمعا.

وهناك أبيات شعرية لأبي بكر الزبيدي الأشبيلي يصف شوقه لجاريته سلمى التي تركها في أشبيلية قائلاً:

ويحك يا سلم لا تراعي	لأبد للبين من زماع
لا تحسبني صبرت إلا	كصبر ميت على النزاع
ما خلق الله من عذاب	أشد من وقفة الوداع
ما بينها والحمام فرق	لولا المناجاة والنواعي

كما كان للجواري دور كبير في الحياة الشعرية والأدبية في الأندلس فقامت إحدى جواري ابن الكتاني التي أسمعت الحاضرين أبيات شعرية تحمل حنيناً إلى بلادها وأنشدت:

خليلي ما للريح تأتي كأنما	يخالطها عند الهبوب خلوق
أم الريح جاءت من بلاد أحبتي	فأحسبها ريح الحبيب تسوق
سقى الله أرضاً حلها الأغيد الذي	لتذكراه بين الضلوع حريق
أصار فؤادي فرقتين فعنده	فريق وعندي في السياق فريق <sup>29</sup>

رغم شحة المعلومات عن دور الرقيق في المغرب والأندلس خلال القرنين 5-7هـ/ 11-12م فإنه أمكن لنا رسم صورة لملامح حضوره في الحياة الثقافية انطلاقاً من إقباله على التعلم والدرس إلى جانب استفادته من تشجيعات بعض رجال السياسة والعلم.

<sup>29</sup> عبد الإله بنمليح، المرجع السابق، ص 470.471.

# الفصل الثاني

## الخدم ودورهم الثقافي والاجتماعي في الأندلس

أولاً: تعريف الخدم لغة واصطلاحاً

1 - آداب الخدمة

2- أصناف الخدم

3- وظائف الخدم في القصور

بدأ استخدام الخدم منذ قيام الدولة الأموية كخدم في القصور وبالإضافة إلى هذا استخدامهم في الحروب وخاصة العبيد كونهم يتميزون بقوة الجسد ولم يقتصر عملهم في الخدمة في الجيش بل استخدموا أيضا في حراسة الحكماء وحراسة القصور، وكان الخادم في الأندلس مجرد مظهر من مظاهر الترف والبذخ.

### أولا - تعريف الخدم:

#### أ - لغة

**الخدمة:** مصدر خدم وهي المهنة بكسر الاسم بفتح المصدر الخدام جمع خادم، والخادم واحد، الخدم غلاما كان أو جارية ويقال للأنثى في لغة قليلة خادمة.

#### ب - تعريف الخدم في الاصطلاح

هو ما يقدمه من مساعدة في القيام بعمل أو في قضاء حاجة أو مصلحة.<sup>30</sup>

#### 1 - آداب الخدمة

إلى جانب ما يقدمه الخدم في أعمالهم المختلفة، هناك اهتمام كبير بالجانب التأديبي التربوي للخدم لاسيما وان الحكام في الأندلس، اجروا مجموعة من النظم والآداب والقوانين المتبعة داخل القصر الحاكم أو خارجه.

لهذا خصص لكل وظيفة من وظائف القصر رئيسا مسؤولا عن تأديب كل من كان في قصر الحاكم وإرشادهم إلى الآداب العامة في خدمة دار الخلافة عامة، ومن جملة الآداب ما يتعلق في تقديم الطعام والشراب ومنها الخاص بالدخول على الحكام والخروج من عندهم ومسايرتهم، فعلى الخادم مسايرة الخليفة وعدم الوقوف إلى جانبه إلا وقت العمل وأن يقف في مكان يراه الخليفة مناسب إذا أراد المواصلة أو تركه وأيضا من آداب الخدمة أن يترك الخادم كل عمل لم يكن من اختصاصه.

<sup>30</sup> أفاق لازم عبد اللطيف، د.صبح نوري خلف الحلفي، الخدم ودورهم الثقافي والاجتماعي في الأندلس، مجلة واسط للعلوم

الإنسانية، جامعة البصيرة، كلية التربية للبنات، ص5

## 2 أصناف الخدم:

تعددت أصناف الخدم في الأندلس ومنها من يستخدم في خدمة القصور ومن هنا يقول ابن حزم: "كان فيهن المحدثه والطبيبة والحجامة والدلالة والماشطة والمعلمة والعاملة " ومن أصناف الخدم في الأندلس:

## أ- الوظائف في القصور:

## 1 الطباخ

أو صاحب المطبخ أو المقيم على الطعام أو صاحب المائدة وهو المسئول عن تحضير وإعداد طعام الخليفة، وتعد وظيفة صاحب الطعام من الوظائف الحساسة في القصور، لما في ذلك علاقة مباشرة بصحة الخليفة لهذا يجب عليه أن يتصف صاحب الطعام بالصفات التالية:

- الأمانة والعقل ومجملًا للخليفة أو الحكام حريصًا على صحته، وأن يكون على اطلاع على القوانين في مطابخ الخلفاء.
- الاحترافية في مجال عمله وأيضا نظافته الشخصية.

ومن مهام الطباخ في مطبخ الخلفاء: الذهاب إلى السوق من أجل شراء كل ما يحتاجه في المطبخ من أواني والمواد الغذائية كاللحوم والخضار والتوابل وأيضا تنسيق المائدة وترتيب الطعام، وتفقد الطعام والشراب وتذوقه في كل وقت ومن بين مميزات الطباخ أن يكون لديه خبرة طويلة في المطبخ والنظافة وله خبرة في طبيعة اللحوم والأسماك والخضروات وأنواع الأطعمة.

وكان أغلب الخدم من الطباخين من الصقالبة والموالي أو العبيد السود المجلوبين من إفريقيا ويطلق عليهم أسماء مثل المطبخ وأسماء أخرى مثل يمن أو ياقوت أو زهير وهذه

الأخيرة تدل على دور النساء في المطابخ الخليفة وخاصة السودانية التي كانت تمتاز بصنع الحلويات.

## 2 الخياط أو صاحب الكسوة

هو الخادم المسئول عن ما يخص ملابس الخليفة وقد تعددت وظائفهم كالمطرزين وغيرهم، واستخدم الحكام على مر العصور في الأندلس في قصورهم الخياطين، وعينوا لهم عريفا في القصر مهمته حياكة الثياب للخليفة، وكانت الملابس توضع في خزانة مخصصة للملابس وتسمى خزانة الكسوة.

## 3 حراس الأبواب

هم المسئولين عن حماية الخليفة ودار الخليفة في داخل القصر وخارج أثناء الموكب والخروج في المناسبات، ويصور لنا الصابي وظائف هؤلاء الغلمان عند جلوس الخليفة " ويقف الغلمان والخدم الخاصة من خلف السرير وحواليه متقلدين بالسيوف، ويعود سبب استخدام الخدم العبيد في عهد الأمير عبد الرحمان الداخل إلى الظروف المستجدة في البلاد فأرادهم خدما وحماية له وللقصر والإمارة ومن وظائف الحرس حمل الشموع في الموكب.

## 04 المربية

وهي أحد مظاهر الترف في الأندلس وهم الذين أوكل إليهم تربية أبناء الحكام في حجراتهم الخاصة والمربيات من بين الجوارى، وكانت جوارى النوبة توصف لهذه المنة فيقول السقطي: فان أحسن الربايات للأطفال النوبة". لأن عندهم رحمة وحنينا للأطفال واستخدمت الإماء السود في إرضاع أطفال الحكام وتربيتهم ، فهنا تكون وظيفة الخادمة المربية إرضاع الطفل وتربيته خلال عمى الرضاعة وغسل خرقة ولفافته، ولم يقتصر دور الجوارى على تربيتهم فقط إنما شمل أيضا تعليمهم، فقد كن يعملن على تعليم الأطفال القرآن والشعر والحفظ في القصور.

## 5 خادم القصر

هم الجوارى التي تستخدم في تنظيف القصور وقضايا الحاجات المنزلية كالعجن والطبخ والكنس واستقاء الماء ويطلق عليهن جوارى الخدمة وتقوم أيضا بأعمال أخرى مثل فتح الباب واستقبال الزوار.

## 06 الطبيب

من الوظائف المهمة داخل القصر هي تقديم الخدمات الطبية في قصور الحكماء في الأندلس وهذه السياسة سار عليها خلفاء بني أمية منذ عهد عبد الرحمان الداخل(172-183هـ / 756 - 798م) وكان لطبيب دور كبير في خدمة الحكام في قصور الخلفاء، فقد كان الطبيب الوليد المذحجي الطبيب الخاص للأمير عبد الرحمان الناصر ومدير علاجه وحفظ صحته (300-350 هـ / 912-961م).

ومعرفة الأطباء أمثال أبا بكر سليمان بن باج بعلم الأمراض وصناعة الأدوية ومعالجة الخليفة في قصره. وقد كان هناك بعض النساء عملن في مهنة الطب في قصور الحكام منهن أخت الطبيب الزهراوي وابنتها، إذ كانتا بارعتين في الطب، وكانتا تداويان نساء البيت الموحي ونساء بيت الموحي.<sup>31</sup>

## ب وظائف الخدم الخاصة بالحكام:

هناك وظائف أخرى ظهرت في قصور الحكام في الأندلس على مر العصور هي التي كانت تخدم شؤون الحاكم نفسه والملازمون له وهم أصناف الغلمان والجوارى حيث كان الحاكم يختارهم بنفسه لما توفرت فيهم من صفات الأمانة والصدق والوفاء وحسن التدبير ومن هذه المهن:

**1 الطبيي:** هو المكلف بشراء الطبيب للخليفة فقد اتفق حكام الأندلس على شراء الطبيب وهو المسئول عن تبخير الحكام أو من حضر في مجلسه بالعود.

<sup>31</sup> آفاق لازم عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 10-11

2 صاحب الوضوء: هو الخادم المكلف بحمل ماء الوضوء للحكام وهو المسئول عن حفظ أواني الوضوء في القصر.

3 المزين: وهو المسئول عن العناية الشخصية للخليفة كحلق شعر رأسه وحف شواربه.

### ج- وظائف أخرى:

ظهرت وظائف أخرى ذات صلة بالخدمة المنزلية وهم القائمون بخدمة القصر ومنهم:

1 الفراشون: المسئولين على نظافة القصر وتربية وترتيب أثائه وتعليق الستائر وغيرها من متاع القصر.

2 السقاؤون: الخدم الموكلون بتزويد القصر بالماء.

3 الحمالون: الخدم المسئولين بحمل كل ما يحتاجه القصر من فراش وشمع وستائر والصناديق وغيرها.

4 البوابون: الخدم الموكلون في باب القصر وضيقتهم منع الدخول الوافدين إلى قصر الحكام وهم يحملون السلاح ومن مهامهم تعريف الداخلين بآداب الدخول إلى القصر.

5 الطبالون: المكفون بضرب الطبل في مواسم الاستقبال والاحتفالات في القصور.

6 البواقون: المسئولين بفتح البوق مع ضرب الطبول في المناسبات والاحتفالات والموت.

7 عامل الاضطيل: وهو المسئول عن العناية بخيل الحكام وجميع دوابهم كالخيل والبغال والحمير وتوفير كل ما يحتاج إليه الحيوانات من أعلاف وماء وعلاج ومن السروج والهودج وغيرها من الخدم في هذا المجال صاحب الخيل الذي كانت مهمته الاهتمام بالخيل.

ولقد عمل الخدم أعمال أخرى كالمبيت في الأسواق بالليل لحمايتها من السرقة، وعملوا في حمل العجين إلى الفرن، ومرافقة السيد في تنقلاته وغيرها من الأعمال الأخرى.

## ثانيا- دور الخدم في الحياة الثقافية:

لقد كان للخدم دور مهم في الحياة الثقافية من خلال تقديم خدمات جليلة لأصحاب العلم في الأماكن الخاصة في هذه الخدمة التي قدمها الخدم في المجال الثقافي هي:

## 1 الخدم في المكتبات

شاع العلم في الأندلس وغيره من بقاع العالم الإسلامي الواسع الكبير فبدأ المسلمون يتنافسون فيه ويعملون لنشره ويعتبر الكتاب من أهم الوسائل، لنشر هذا العلم وحفظه وتنشئته وعلى هذا الأساس كانت العناية به واسعة من كل ناس وعلى أي مستوى وفي كل ميدان، واهتم الحكام المسلمين بالعلم والمعرفة إلى جانب اهتمامهم بالمكتبات، وكان للحكام عناية خاصة بالمكتبات في كل العصور والظروف والأحوال، لهذا عمد الحكام على تعيين الخدم في المكتبات الخاصة بهم وكذلك للمكتبات العامة لم يقتصر دور الخدم في تنظيف المكان وترتيبه، وإعداد المكان لأصحاب العلم ليتلقوا ما يحتاجونه من الكتب في هذه المكتبات فضلا عن توفير كل ما يحتاجه أصحاب العلم القادمين من البلاد الأخرى.<sup>32</sup>

واهتمام الخدم في المكتبات من خلال إتقانهم تجليد الكتب لهذا ظهر في عصر المرابطين الكثير من الكتب والمؤلفات ومن بين أهم أعمال الخدم في المكتبات:

العمال السقاة الذين يقومون بعملية الأمن والحراسة، وتنظيم فراش المكتب، وتنظيم أثاث المكتبة.

## 2 الخدم في المدارس

كانت الثقافة الموسوعية التي حضيت بها جوارى أبلغ الأثر في استفادتهم لتعليم أبناء الأمراء والخلفاء والملوك وكبار رجال الدولة حيث كلما زاد علم الجارية وحفظها زاد الطلب عليها وعلا شأنها بين العامة والخاصة.

<sup>32</sup> آفاق لازم عبد اللطيف، المرجع السابق، ص.ص 13-14.

كما ورد بعض أسماء الموظفين الخدم الملقبين ب المقيم وهو الذي يتولى جميع خدمات المدرسة والقيام بمستلزماتها الضرورية من الكنس والفرش والقناديل فضلا عن البواب الذي ينحصر عمله في فتح الباب وغلقه، ونجد خادم آخر يخدم في المدارس يطلق عليه مصطلح المستغلات وهو المسئول عن إصلاح ما تخرب من ملحقات المدرسة كالحوانيت وغيرها.

### ثالثا - دور الخدم في الحياة الاجتماعية:

لقد قدم الخدم في المجالات الاجتماعية فائدة عظيمة لم تشر إليها المصادر التاريخية إلا بالشيء القليل ومن أهم هذه المجالات هي:

#### 1 - الخدم في الحمامات العامة والخاصة

تعد الحمامات من المرافق الحيوية في المدن العربية، واهتم أهل الأندلس اهتماما كبيرا بالحمامات لأنها تعتبر مظهر من مظاهر الصحة للإنسان، وملتقى للحياة الاجتماعية للناس لمختلف المهن والثقافات ويتمثل دور الخدم في الحمامات:

استقبال الناس الداخلين للحمامات، وتوفير مكان لخلع الزبون ثيابهم ووقوف الخادم على الباب مسئول على حفظ ملابس الزبون وأيضا تقديم المنشف للزبون، ويعتبر المسئول على نظافة الأدوات في الحمام، وتخصيص يوم للنساء ويوم للرجال.

ومن أهم الحمامات التي انتشرت في قرطبة وغرناطة والمرية واشبيلية وغيرها من المدن الأندلسية، وهكذا الحال في انتشار الحمامات في جميع أنحاء الأندلس، وهذا الانتشار وان دل على شيء فهو تعلق أهل الأندلس بالنظافة والمظهر والظهور بالمظهر الحسن.

#### 2 - الخدم في الخانات

هي الأماكن نزل الشباب من كل الجنسيات ويكون مهيا للبيت والإقامة المؤقتة وهي كلمة فارسية تعني المنزل أو السوق حيث اكتسبت الخانات حركة تجارية داخلية وخارجية وأصبحت أهمية المدن تقاس بعدد الخانات الموجودة فيها وكان الغرض من إقامة الخانات

في داخل المدن وخارجه لراحة وحماية المسافرين وبعضها لإيواء الغرباء وطلبة العلم وكان المسئول عن خدمة هذه الخانات يسمى بالفندقي مهمته توفير الخدمة والراحة للمسافرين، والعناية بنظافة الخانات وتقديم الطعام للنزلاء.

### 3 الخدم في السجون

عرفت الأندلس الكثير من السجون كغيرها من المدن الإسلامية التي كانت منتشرة في مختلف الأنحاء ومن أهم السجون الموجودة في الأندلس سجن في قرطبة الذي كان ملاحقا لقصر عبد الرحمن الداخل (138هـ) وكان بين السجن نهر الوادي الكبير سرداب من أجل أن يستخدمه المساجين للوصول إلى النهر من أجل الطهارة والوضوء وقضاء حوائجهم وهناك أيضا سجن آخر يسمى سجن الدويرة وهو سجن الرئيس في قرطبة عهد الأمير محمد (273-238هـ/852هـ - 886م). ويشرف على السجون الهيكل الإداري المتكون من السجن الذي يقوم بتنظيم، ومراقبة السجناء وحمايتهم من بعضهم البعض، وهناك مجموعة من الخدم يقومون بخدمة السجون إلى جانب الإداريين وهم المسئولون عن تسيير أمور السجن ومنها:

تنظيف السجون، وتقديم الطعام والشراب للسجناء وتقديم الخدمات العلاجية للمرضى منهم، ومراقبة السجناء وحمايتهم بدقة طيلة خروجهم.

ومن هنا نصل للقول أن للخدم دور كبير في السجون من خلال الأعمال التي يقومون بها داخل السجن فضلا عن أن دورهم المراقبة وتقديم الخدمة والنظافة العامة للسجن.

# الفصل الثالث

## الجواري والغلمان وأثرهم في الشعر الأندلسي

أولاً- مسميات الجواري في الأندلس

1- جوانب من استخدام الجواري في الأندلس

2- المرأة الأندلسية والشعر

3- موضوعات شعر الجواري

4- خصائص شعر الجواري

ثانياً - ظاهرة الغلمان في المجتمع الأندلسي

1 - ظاهرة عشق الغلمان في المجتمع الأندلسي قراءة في الأسباب والمعتقد

2 - الطبقة السياسية وظاهرة عشق الغلمان

3- رجال الدين وظاهرة عشق الغلمان

4- ظاهرة عشق الغلمان بين تجليات الأدباء والشعراء في الأندلس

## أولاً- مسميات الجارية في الأندلس:

لعبت المرأة الأندلسية دوراً محورياً في الأندلس بدأ من أيام المسلمين وتركت أثراً في الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية والاجتماعية، كما كانت أحد مصادر الإلهام لشعراء في الأندلس ولم تتساوى النساء في هذا التأثير، وسجلت المصادر الأندلسية تأثيراتهن كلها، وسماهن المؤرخون بمسميات مختلفة فاستخدموا كلمة القينة والسرية والأمة والرقيق والجارية.

## أ- القيان

مفردها قينه هي طبقة اجتماعية من النساء وكانت موجودة في العالم الإسلامي قبل الحديث استخدم المصطلح لكل من المرأة الحرة وغير الحرة، وبعضهن جاء من طبقة النبلاء ازدهرت القيان تاريخياً في ظل الدولة الأموية والدولة العباسية والأندلس.

قال الجوهري: سميت بذلك لأنها تزين النساء، وشبهت بالأم لأنها تصلح البيت وتزينه فالجواري اعتنن بتزين البيت وإصلاح حاله حتى أصبح التزين صفة مقرونة بهن وهي الأمة المغنية.<sup>1</sup>

## ب - السرية

التسري في اللغة العربية من السرور أو أن يتخذ السرية وهي الأمة المملوكة وفي إصلاح الفقهاء هو أن يتخذ سيد أمته الرقيقة للجماع ولا يجامعها غيره. وقد اختلف أهل اللغة في سبب تسميتها وقام ابن منظور بجمع اختلافهم فقال: قال بعضهم نسبت إلى السر وهو الجماع، وضمت السين للفرق بين الحرة والأمة فيقال للحرة إذا نكحت وإذا كانت فاجرة سرية لأنها موضع سرور الرجل.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب مادة (قين)، ص 351/13

<sup>2</sup> المرجع نفسه، مادة (سرر)

## ج - الأم

يقال للجارية أمة والأمة والجمع أماء وأم و أموان ويقال تأمت المرأة أي امتلكت وتأمى الرجل أي اتخذ أمة.<sup>1</sup>

## د - الرق:

يشير هذا المصطلح إلى حالة امتلاك إنسان لإنسان آخر ويطلق على المالك اسم السيد وعلى المملوك اسم العبد والرق من رقق: وهو نقيض الغليظ والثخين وسمي العبيد رقيقا لأنهم يرقون لمالكهم ويذلون ويخضعون

## هـ - الجارية:

يطلق لفظ الجارية على العبد المشتري في الحروب وهو لفظ يستخدم للإشارة للعبيد الإناث الذين استعبدوا عبر الأسر والحروب أو من قبل قطاع الطرق.

**التعريف اللغوي الجارية:** هي الفتاة التي تباع في سوق النخاسين.<sup>2</sup>

أما في **التعريف الاصطلاحي:** هي الأنثى التي فقدت حريتها وسخرت لتلبية سادتها.

أما الجارية في الإسلام فهي كل امرأة أخذت أسيرة شريطة أن لا تكون مسلمة والجواري ثلاثة أصناف:

جواري اللذة، جواري الخدمة، وأمهات الأولاد.<sup>3</sup>

## ثانيا- أنواع الجواري في الأندلس:

وقسمت الجواري إلى ثلاثة أقسام هي جواري اللذة والجواري أمهات الأولاد وجواري الخدمة.

<sup>1</sup> عبد الله التجاني، متعة العروس ومتعة النفوس، تج جليل العطية، رياض الريس للكتب والنشر، 1992، ص 158.

<sup>2</sup> لويس معلوف، المنجد، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط19، ص555.

<sup>3</sup> حسن يوسف موسى، عبد الفتاح الصعيدي، الإفصاح في فقه اللغة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1929، ص16.

## أ- جواري اللذة

هن الجواري اللواتي يسليهن أسيادهن وينشرن المتعة والمرح والسرور في بيوتهم، ويزلن اللهم والكدر عن نفوسهم وكان الغرض الرئيسي منهن المتعة والتسلية وقد اتخذوهن المسلمين بديلات زوجاتهم اللواتي بقين في منازلهم ولم يغامرن في الخروج مع أزواجهن والتشريع الإسلامي أباح اتخاذ سرايا بناء على قول الله تعالى: ﴿والذين هم لفروجهن حافظون﴾ (5) إلا على أزواجهم أو ما ملكت إيمانهم فإنهم غير ملومين﴾ (6).

وشكلت جواري اللذة نسبة كبيرة في عدد الجواري في الأندلس، وربما كانت جميع الجواري اللاتي وجدن جواري لذة سواء كانت لذة جسدية أم حسية تتمثل في استمتاع السادة بغناء الجواري وآدابهن حيث لم يعن الأندلسيون بجمال الجسد فحسب بل فتنوا بظرافة الجواري وقدرتهن على امتلاك القلوب.

وبعد فتح الأندلس انهالت الغنائم والثروات والسبايا على الفاتحين، فأصبح الترف ظاهرة من ظواهر المجتمع الأندلسي وبدأ الأندلسيون يتنافسون في بناء القصور وأصبح اقتناء الجواري أحد مظاهر الغنى حتى إنهم أمسوا يغالون في إظهار الغنى والترف لذا امتلأت قصورهم بأعداد كبيرة من الجواري.

## ب- أمهات الأولاد

أما جواري أمهات الأولاد فيعود أصلهن إلى جواري اللذة اتخذن للوطء وولدن من أسيادهن ويحق لسيد أن يتزوجها فإذا رفضت الزواج منه ليس له الحق في إجبارها بالقبول به وأولادها أحرار شرعيون ولهم ما لغيرهم من أبناء الحرائر من ميراث، فكان إنجاب الولد حلم كل جارية فحصلها على الولد يضمن استقرارها مع سيد واحد بدلا من أن يتداول عليها في أسواق النخاسة ومنزلتها تسمو عند سيدها فأصبحت أم ولده وستملك فرصة الزواج من سيدها وتتساوى مع الحرائر بعد ما كانت جارية فقط.

## ج- جواري الخدمة

هن الجواري اللاتي قمن بالأعمال المنزلية و عملن لصالح أسيادهن ولم يحظين بجمال جسدي ولم يقتصر عمل الجواري على الأعمال الصعبة فقامت بعضهن بتربية أولاد أسيادهن وحظيت بنصيب وافر من العلم والثقافة وكن ملكا للأسر الغنية حيث اختارت هذه العائلات الجواري المميزات عن غيرهن فهن بحاجة إلى جواري وقورات يعلمن أولادهم الأخلاق وتعليمهم القرآن والشعر والخط ومثال ذلك تعليم الجواري ابن حزم فهو من عائلة غنية القرآن والشعر ودرّبنه على الخط ولم يكن الوحيد الذي علمته الجواري وتعليمهم الأولاد كان ظاهرة موجودة في الأندلس ولم يقتصر عملهن على الأسياد فقط فقد عملن على خدمة العامة من الناس.

## ثالثا- المرأة الأندلسية والشعر

الشعر الذي تكتبه المرأة قديما هو سجل حياتها الذي يعبر عن ما عاشته ويصور حياتها والشعر عندها ليس فقط كلمات وأقوال بل يعكس ويعبر عن شخصية المرأة ومدى استمراريتها في الحياة وعدم سماحها لتغلب السلطة الذكورية عليها ومن خلال أدبها تعيد إحياء مكانتها ورفع من قيمتها فالشعر هو متنفس المرأة.

أخذت المرأة العربية في الأندلس مجالا كبيرا من الاهتمام والحرية الأمر الذي سمح لها من فرض مكانتها وفرض وجودها مما جعلها تتنافس كبار الأدباء والشعراء بحضورها مجالس الأدب وكانت تحظى بمكانة رفيعة وكان لها حضور قوي في جميع المجالات الحياة ففي مجال التعليم كان الأمر مألوفا وقد كان الأندلسيون يبعثون الفتيات إلى المدارس لكي يتعلمن نفس المواد التي تدرس للصبياني عادة، فيما كان بعضهن يواصلن التعليم العالي ويحصلن على نفس الإجازات التي يحصلن عليها الرجال.<sup>1</sup>

<sup>1</sup>سعد بوفلاقة: الشعر النسوي الأندلسي أغراضه وخصائصه الفنية، ص27.

وشاركت المرأة الأندلسية في ضروب النشاط الأدبي من الشعر والنثر والموشحات وحضور المجالس الأدبية والمعارضات والمجالس الشعرية<sup>1</sup> وعليه حضور المرأة الأندلسية في النشاط الفكري الأدبي كان سبب في ازدهار وتطور الحركة الأدبية وذلك من خلال اكتساب العلوم والمعرفة، وكانت المرأة كثيرة الاطلاع والمعارف فهي لم تقتصر على الأدب فقط بل تعدت إلى مجال الطب.

واعتبر الشعر الحيز الذي تتنفس منه المرأة وتثبت من خلاله ذاتها حيث لم تكن لم تكن الممارسة الشعرية للمرأة الأندلسية وليدة عصر جديد بل ارتبط وجودها بعوامل جعلتها تثير على الرجل وتنافسها وتستوقفنا صورة لافتة من الشعر الأندلسي الذي عكس مساحة واسعة من الحرية التي تمتعت بها المرأة وهذا ما أتاح لها التعبير عن عواطفها والبوح بمكانتها والمجاهرة بعواطفها دون خوف بخلاف المرأة المشرقية التي خضعت لصرامة التقاليد الاجتماعية، كما تميزت الشاعرة بالنضج والقوة في قول الشعر وفرضت نفسها في مجال الشعر لتبرز قدرتها وتمكنها منه.

ومن هنا نقول لقد أبدعت المرأة الأندلسية في الإفراح في التعبير ما يجول في عواطفها ويدل هذا الشيء على النشاط الفكري الذي حضيت به المرأة وتجاوبها مع الحياة الثقافية والأدبية.

## 02- موضوعات شعر الجواري:

### أ- الغزل

فن من الفنون الشعرية ويكون بوصف الجمال والتغني بالحببية وذكر محاسنها ويقوم الشاعر بوصف جمالها ومواطن الجمال فيها، ويبث الشاعر شكواه من ألم فراق الحبيبة وابتعاده عنها، يعتبر الغزل من الفنون الرفيعة وهو من أهم الأغراض الشعرية عند المرأة الشاعرة والجارية والحرّة وذلك للحياة التي كانت تحياها والظروف التي عاشتها في تلك الفترة واستطاعت أن تصور مشاعرهما اتجاه من تحب وتمتعت الجواري كغيرهن من أبناء

<sup>1</sup>فوزي عيسى: شاعرات الأندلس والمغرب دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، دط، ت، ص13.

الأندلس بقدر كبير من الحرية وتجسدت حريتهن من خلال مظاهر حياتهن المختلفة، ابتداء من حرية اللباس ومشاركة الرجال مجالس الشراب والغناء، ونظم الشعر وتأليف الكتب.

وقد لقي الرجل الأندلسي الجارية في البيت والأسواق والطرقات ومجالس الأُنس وتحدث إليها فقد عرفته سيدا في البيت وعابر سبيل في الطرقات وعاشقا ينظم شعر الحب والغزل.

وبعض الجواري العاشقات كتمن حبهن ولم يعرف به محبوبهن وبعضهن لجان إلى التلميح وبعض الجواري لجان إلى التلميح والإشارة ليلفتن نظر محبوبهن ولم يكن غزلهن غزلا فاحشا باستثناء إشارة محيرة **لعبة** جارية ولادة بنت المستكفي في ابن زيدون، ومن الجدير بالذكر آخر **كأنس القلوب ومتعة** و **وبزريعة** تحدثن عن عواطفهن ومشاعرهن حيال محبوبهن وما عينه من ألام الحب كما اتخذن من الشعر المغنى وسط مجالس الأُنيس أداة لتعبير عن حبهن فقامت جارية السلطان أبي الحجاج يوسف الثالث بن يوسف الثاني فقد نظمت شعرا على لسان ابن فكرون،<sup>1</sup> تتغزل بنفسها وكان غزلها بنفسها غزلا تقليديا انتحلت خلاله الجارية عيني ابن فكرون فرأت قدها ولحظها فاستعارت قلبه فأحست بما أحس من شوق وحب وانتظار وعلى الرغم من جرأتهن في نظم الشعر وغناؤه على الملا إلا انه ظهر في شعر كل من **انس القلوب ومتعة** وقد لم يتقبل البعض من أفراد المجتمع الأندلسي تصريح الجارية بحبها لرجل غير مالکها، والعادة عند العرب أن الرجل هو المتغزل وعند العجم فالمرأة هي المخاطبة،<sup>2</sup> وان شعرهن يظهر أنهن خائفات من أسيادهن وأنهن خلعن الحياء الذي يراه المجتمع ميزة ضرورية من مميزات المرأة وردت فعل سادتهم على نظمهن شعرا غزليا في رجل آخر تدل على أنهم لم يتقبلوا تصريح جواريهم لان فيه اهانة لكبريائهم ولأنهم يغارون على جواريهم ولم تكن أشعار الجواري في الغزل بالرجال متماثلة مع لأشعار الرجال في الجواري فالجواري لم يتغزلن بقد الرجل أو شعره وعينيه لأنهم لم يجدن شعرا يفصل معايير وسامة الرجال لان معايير الوسامة تختلف من رجل لآخر لذا

<sup>1</sup> انظر محمد بن شريفة، ديوان فكرون ابن الخطيب، الإحاطة في اخلاص غرناطة، ط1، الكتيبة الكامنة، 305، المقري، النفح،

اكتفت الجواري بتكلم في أشعارهم عن الأم الحب والهوى وعن انس القلوب جارية المنصور بن أبي عامر التي تجرأت في الوزير أبي المغيرة بن حزم قالت:

قدم الليل عند سير النهار  
وبدا البدر مثل نصف  
سوار

فكان النهار صفحة حد  
وكان الظلام خط  
عذار

وكان الكؤوس جامد ماء  
وكان المدام ذائب  
نار

بالقومي تعجبوا من غزال  
جائر في محبتي وهو  
جاري

ليت لو كان لي إليه سبيل  
فأقضي من حبه  
أوطاري

لا تملك انس القلوب سوى النظر لمحبوها وتأنيب ضميرها فهي موجهة لرجل ليست في ملكه، وقد أشارت في قصيدتها صفة وجدتها متوفرة في حبيبها وهي انه وسيم مثل الغزال ورأت إن صورة الغزال هي الصورة المثالية التي يجب أن تتوفر في الرجل فقدمت وصفا لما يحمله محبوبها من جمال فقالت:

بالقوم تعجبوا من غزال  
جائر في محبتي وهو جاري

ليت لو كان لي إليه سبيل  
فأقضي من حبه أوطاري

لقد جمعت الشاعرة في مقطوعتها بين عواطف تصرح فيها بالأم الحب والندم وعتاب الناس المنكرين حبه وقد رأى بعض الشعراء في بيتها الأخيرة يمثل أوج الجرأة في إعلان حبه ورغبتها بقضاء شهوتها بمعشوقها وهذا أمر مستكره عند النساء،<sup>1</sup> ولابن منظور رأى

<sup>1</sup> المرأة في الأدب الأندلسي في عصر الطوائف، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، 2001، ص142

آخر يرى فقضاء الوطر في الحب لا يكون بقضاء الرغبات الجسدية فالوطر هو كل حاجة كان لصاحبها فيها همة فهي وطره،<sup>1</sup> وقد تكون هذه الحاجة مجرد الرغبة في اللقاء وتبادل الحديث والتعبير عن الحب وتبادل النظرات.

وبعد أن سمع المنصور بن أبي عامر شعرها اخرج سيفه وثار وسألها من تقصد في شعرها، واستطاعت وسط هذا الجو المتوتر أن تنظم أبياتا شعرية تستعطف فيها المنصور وتطلب منه السماح فقالت:

أذنبت ذنبا عظيما	فكيف منه اعتذاري
والله قدر هذا	ولم يكن باختياري
والعفو أحسن شيء	يكون عند اقتدار.

ولم يكن غضب المنصور لنظم الشاعرة شعرا غزليا، وإنما لأن جاريته نظمت هذا الشعر لرجل آخر وغنته أمام الناس جميعا كأنها لم تخف من المنصور وقوته، وشعرها ضمن رسالة غير مباشرة لأحد السامعين في المجلس ويبدو أن الشاعرة وجدت الشعر أكثر أمنا من الكلام المحكي المباشر الذي قد يوقعها في مصاعب مع سادتها، ولقد لجان الشاعرات في ذلك الوقت إلى الشعر لما فيه من جمال لا يتوفر في الكلام المحكي وان حياؤهن منعهن من التصريح بعواطفهن، أما متعة جارية زرياب المشرقية فعندما أحست بإعجاب الأمير عبد الرحمان الأوسط تجرأت وصارحته بحبها وإعجابها به وقالت:

يا من يغطي هواه	من ذا يغطي
النهارا	
قد كنت أملك قلبي	حتى علقنت
فطارا	

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، مادة (وطر)، ص 5-285

يا ويلتا أتــــراه  
مستعارا  
لي كان أو  
يا بأبي قرشي  
العدارا  
خـلعت فيه

ولما شعر زرياب بهذا الإعجاب المتبادل بين الأمير وجاريتيه متعة أهداها إليه وظن أن قصة متعة مع الأمير عبد الرحمان الأوسط دلالة على أن المجتمع الأندلسي هياً الظروف المناسبة لظهور شعر الغزل الذي فيه تتغزل الجارية بالرجال، إن عواقب تغزل الجواري بالرجال لم تكن حميدة دوما فلم يعطي كل المالكين جواريهم لمن أحببتهم فنجد على سبيل المثال **عثمان بن الأمير محمد** ضرب جاريتيه بزريعة بعد أن نظمت أبياتا شعرية غزلية بعد أن حضر أخيه **إبراهيم** لزيارته، حيث طلب **إبراهيم** ما يؤنسه حيث سأل عثمان جاريتيه بزريعة أن تقدم أحسن ما عندها فقالت :

ويفرح قلبي أن أرى الزور منكم  
ويزداد عندي من أحبكم قربا

وبعد انصراف الضيوف اخذ **عثمان** يضرب الجارية وقال لها: أتغنين ويفرح قلبي أن أرى الزور منكم، لست والله أشك أنك عشقتي، وبعد مدة من الزمن عاد **إبراهيم** لزيارة فطلب **عثمان** من بزريعة أن تقدم أجود ما عندها من أشعار فقالت:

لما رأيت وجوه الطير قلت لها  
لا مرحبا بغراب البين والصد<sup>1</sup>

وعندما سمع **إبراهيم** ما ألقته استنكر قولها ولم يعجبه فعزم **عثمان** أن يضربها خمسمائة سوط إلا أن احد الجالسين قام إلى **إبراهيم** فاخبره فانلته جزاء شعرها السابق فغضب **إبراهيم** وقال: وهاهنا بلغت بك الغيرة يا أخي علي لله عهد لا دخلت لك دارا بعدها.

ومقولة **إبراهيم** لها دلالة على أن سبب وراء عقاب الجارية لم يكن الشعر الغزلي بذاته وإنما هي الغيرة ذلك أن الأمير **عثمان** غضب لان جاريتيه أعجبت برجل غيره

<sup>1</sup> ابن القوطية تاريخ، تاريخ افتتاح الأندلس، المكتبة الأندلسية، دك المصري، ص126-127.

وتغزلت به أمامه وقامت بما هو غير مقبول وشعرها أمر مألوف لكنه وجه إلى رجل غير سيدها.

ونجد الشاعرة الجارية عنان وهي التي استطاعت أن تصور الحب القائم بين الرجل في مختلف الأحوال فقالت:

يبكي فابكي رحمة لبكائه إذا ما بكى مما بكيت له دما

وتصف الشاعرة هنا البكاء وتقول إذا يبكي محبوبها تبكي له رحمة وتحن له وأنها لو أنزلت دمعاً عليه ستبكيه دماً فهي لا تتحمل أن تراه يبكي، كما كان لحفصة بنت حمدون الجارية تغزلت بمن تهواه قالت:

يا وحشتي لأحيتي يا وحشة متمادية  
يا ليلة ودعتهم يا ليلة هي ماهية.

### ب- المدح

هو وصف الشاعر غيره وصفا جميلاً، ووصف فضائله، وحسن الثناء عليه.

لم يقتصر شعر الجواري في الأندلس على الغزل فقط إنما تعددت مواضيع أشعارهم فهن لم يكتفين بتغزل بمحاسن الحبيب، بل ذهب بعضهن للحديث عن خصال السيد النبيلة من كرم وجود وشجاعة وعلو شأن ووجدت ثلاث جواري نظمن في المدح وهن قمر التي مدحت سيدها إبراهيم بن حجاج اللخمي، وجارية السلطان يوسف الثالث وهند جارية ابن مسلمة الشاطبي التي مدحت الوزير أبا عامر بن ينيق مدحت قمر كرم سيدها إبراهيم بن الحجاج وهو الكريم حليف الجود تقول:

ما في المغارب من كريم يرتجى إلا حليف الجود إبراهيم

إنني حلت لديه منزل نعمة  
كل المنازل ما عداه  
ذميم<sup>1</sup>

نظمت هذه الأبيات لمدح سيدها لمعاملته الحسنة لها ولما لاقته من اهتمام منه فهي لم تتلقى مثل معاملته من غيره من الأندلسيين فمن خلال أبياتها نلمح بأنها تمدح سيدها وتذم غيره فهي لا ترى كريما يرتجى من غيره من المغرب أي غيره إما بخيل أو كريم لا يرتجى كرمه وخيره ومنزله منزل نعمة أما غيره من المنازل فهو قبيح.

ومن خلال هذا يبدو بان الكرم هو الصفة الأساسية التي رأت الجواري أنها تستحق المدح ونظم الشعر في الممدوح أما هند جارية ابن مسلمة الشاطبي فمدحت الوزير أبا عامر بن ينق على ظهر الرسالة التي أرسلها إليها، فقد دعاها إلى مجلس أنس، وأجابت دعوته ومدحته واثنت على علو شأنه بين السادة فقالت:

ياسيدا حاز العلا عن سادة  
شم الأنوف من الطراز الأول  
حسبي من الإستتراع نحوك أنني كنت الجواب مع الرسول المقبل

ومن المدح أيضا الغسانية البجائية متمنية أن يعود الماضي الجميل في ظل ممدوحها تقول:  
أتجزع أن قالوا سترحل أطعان  
وكيف تطيق الصبر ويحك إذ  
بانوا

فما بعد إلا الموت بعد رحيلهم  
وإلا فصبر مثل صرير  
وأحزان

عهدتهم والعيش في ظل وصلهم  
أنيق وروض الوصل اخضر  
قينان

ليالي سعد لا يخاف على الهوى  
عتاب ولا يخشى على الوصل  
هجران

<sup>1</sup> المقرئ التلمساني (أحمد بن محمد شهاب الدين)، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ص 141.

ويسطوا بينا لهو فنعتنق المنى  
كما اعتنقت في سطوة الريح  
أفنان

الآلية شعري والفراق يكون هل  
تكونون لي بعد الفراق كما  
كانوا؟<sup>1</sup>

تعكس هذه الأبيات جمالا يؤكد شاعرية المادحة فهي تثبت من خلال أبياتها ألم الفراق الذي تحس به فهي ليست مجرد قصيدة أول قولاً.

### ج- الرثاء

هو الثناء على الميت وذكر محاسنه وخصاله الحميدة، وذكر ما يتركه فقد الميت في القلوب من حسرة وحزن وفزع وهو من أصفى وأعرق أنواع الشعر العاطفي ويتناسب مع النفس الإنسانية لأنه يعبر عن المشاعر التي يكنها الشاعر في نفسه وكلما كانت صلة الشاعر بالميت كبيرة زادت قوة وصدق القصائد الرثائية.

ارتبط الرثاء بنفسية النساء باعتبارهن أشجى من الرجال قلبا عند الفجيرة وأشد منهم حزنا إلا أن حظه عند شاعرات لأندلس كان قليلا، ونجد على سبيل المثال من حاضت هذه التجربة حميدة بنت زياد و قالت ترثي صغير:

يعز علينا أن نوسدك الثرى  
بمجهلة لا دار فيها ولا أهلا  
وقد كنت أرجوا أن يطول لك المدى  
وأنتك إن تأتي الردى تأته مهلا  
على انه ما لذة العيش للفتى  
وغايته شرخا كغايته كهلا  
عليك السلام كلنا أنت فافتعد  
ضريحك لا حزنا تبالي ولا

سهلا<sup>2</sup>

<sup>1</sup> ابن سعيد المغربي: المغرب في حلي المغرب، تح شوقي ضيف، دار المعارف، مصر 1964م، ص192.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ابن سعيد المغربي، ص192

## د- الفخر

هو التباهي وإظهار المكارم ويعتبر الفخر فنا من الفنون الشعرية وهو نابع من حب الذات ويمكن تصنيفه من أشكال المدح، يقوم الشاعر على مدح نفسه أو مدح قبيلته.

يعتبر باب الفخر من الأغراض الشعرية التي أبدعت فيها الأندلسية، إذ اتخذت منه متنفسا للافتخار بقيمتها فجاء فخرهن صادقا واقعي ومن صور الفخر ما قلته الشاعرة صفية بنت عبد الله الربي تقول:

وعائبة خطي فقلت لها اقصري فسوف أريك الدر في نظم

اسطري

و ناديت كفي تجود بخطها وقربت أقلامي ورقي ومحبري

فخطت بأبيات ثلاث نظمتها ليبدو لها خطي وقلت لها

انظري<sup>1</sup>

تصف لنا الشاعرة في هذه الأبيات جمال خطها مقارنة بخط امرأة أخرى بعد أن عابت المرأة خطها.

## هـ - الحنين إلي المشرق

يعرف الحنين بأنه الاشتياق للأشخاص أو المكان أو الزمان وبه تتجلى مشاعر الشوق والحزن كما هو الحال لبعض الجواري المشرقيات لم يستطعن نسيان موطنهن الأول الذي عشن فيه والجارية قمر المشرقية لم تنسى بغداد والعراق وظلت ذكرها حرقا دائما فلا شيء كبغداد وفراتها، قالت:

أها على بغدادها وعراقها وظبائها والسحر في أحداقها

ومجالها عند الفرات بأوجها تبدو أهلتها على أطواقها

<sup>1</sup> صلاح جرار، قراءات في الشعر الأندلسي، ص 177.

متبخرات في النعيم كأنما خلق الهوى العذري من أخلاقها  
 نفس الفداء لها فأى محاسن في الدهر تشرق من سنا  
 إشراقها

أما الجواري الأخر فلم يصرحن بشوقهن فظهرت نبرة الشوق والحزن والحنين في  
 شعرهن فنظرت جارية مشرقية لأحد وزراء المنصور بن أبي عامر حائرة ضائعة وربما  
 كانت في فلك ليس فلكها فقالت:

ما بال أنجم هذا الليل حائرة أضلت القصد أم ليست على  
 فلك

عادت سواريه وقفا لا حرك بها كأنها جثت صرعي  
 بمعترك

هل من بشير بنور الصبح، تنقذني بشراه من طول وجد غير  
 مترك

#### 04- خصائص شعر الجواري:

تميز شعر الجواري بمجموعة من الخصائص كما اعتمدت بعض الشاعرات على  
 الشعر القصصي واستعانتهن بالمحسنات البديعية واهتمامهن بموسيقى الشعر الذي نظمته  
 ومن بين هذه الخصائص نذكر:

#### أ- المفردات والتراكيب

اتسم شعر نساء الأندلس بالعفوية والبعد عن التكلف فلم تحمل الشاعرة الأندلسية  
 الألفاظ ما لا تطيق من معان فتميزن بسرعة البديهة في قول الشعر والرد على الآخرين،

اعتبرت الشعر من وسائل التعبير عن ما في نفسها من عاطفة وعبرت عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة<sup>1</sup>.

### ب - المحسنات البديعية:

لم تعنى الجواري بالمحسنات البديعية اعتناء كبيرا وكانت شبه معدومة في شعرهن، والسبب في ذلك أن أشعارهن ارتجالا وعلى عفو خاطر ولم يسمح الوقت لهن بالتكلف أو ربما لم يرين حاجة للمحسنات البديعية وسلاسة أشعارهن عوضت أي تنميق ومن المحسنات التي وجدت في شعرهن:

### - الطباق

ويقال له المطابقة وهو أن يجمع بين شيئين متوافقين وبين ضديهما وهو على أنواع من بينها طباق الإيجاب وهو الجمع لبن شيئين أو اسمين أو حرفين متضادين وطباق السلب هو الجمع بين فعل مثبت وفعل آخر منفي أو أمر أو نهي أي اختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا.

وقد اهتمت الجواري في شعرهن بالطباق أكثر من اهتمامهن بالجناس، وقد يعود هذا لاهتمامهن بالمعنى أكثر من الشكل ومنها قول أنس القلوب

قدم الليل عند سير النهار

وبدا البدر مثل نصف

سوار

ونحو قول جارية ملك غرناطة:

مولى الملوك بمرب وبمشرق

عن شكر ما أولاه اعجز منطقي

وأیضا أم العلاء التي زينت ألفاظها بالمحسنات والأضداد في قولها:

فالليل لا يبقى من الصبح

يا صبح لا تبدأ إلى جنحي

<sup>1</sup> الغزالي، إحياء علوم الدين، دمشق، د ط، ج3، ص105.

فلا تكن أجهل من في الورى بيت من الجهل كما يضحى

### - الجناس

هو محسن بديعي لفظي يكون عند اتفاق الكلمتين أو تشابههما في اللفظ واختلافهما في المعنى.

وكان الجناس التام معدوما في شعر الجوارى وظهر عند بعضهن جناس غير تام نغير فيه حرف واحد كقول جارية ملك غرناطة:

واتى يبشرنى برائقة الحلى فطفقت بين تشوف وتشوق

كما ظهر في شعرهن جناس غير تام تغير فيه موضع الحرف مع استبدال حرف آخر في الكلمة كقول انس القلوب:

يا لقمى تعجبوا من غزال جائر فى محبتى وهو جارى

ونحو قول بثينة بنت المعتمد:

قام النفاق على أبى فى ملكه فدنا الفراق ولم يكن بمراد

ويظهر فى شعر الجوارى اهتمامهن بالجناس الحرفى الذى تكرر فى الشاعرى حرفا واحدا بشكل ملفت وكان لحرف النون الحصة الكبرى بين الحروف المكررة كتكرار بثينة بنت المعتمد النون فى قولها:

لا تتكروا أنى سبىت وأننى بنت لملك من بنى عباد

ملك عظيم قد تولى عصره وكذا الزمان يؤول لإفساد

لما أراد الله فرقة شملنا وأذاقنا طعم الأسى من زاد

### ج - الموسيقى الشعرية

ليس الشعر إلا كلاماً موسيقياً تنفعل لموسيقاه النفوس وتتأثر بها القلوب، لذا اهتمت الجواري بالموسيقى الشعرية كما أن معظمهن جوار مغنيات يدركن أهمية الموسيقى وهي أهم عناصر الشعر بحيث لو فقدت تحولت القصيدة إلى نثر والموسيقى أمر إلزامي ضروري في الشعر ولاشك أن الموسيقى ابرز أدوات الشعر فهي ليست لتنسيق أو التزيين بل هي ابرز أدوات البنائية لشعر، والموسيقى كانت لب الشعر وعماده إذ لا قوام لشعر من دونه حتى قيل أن الشعر موسيقى ذات أفكار ترتبط أساساً بالوزن والقافية، ووجدنا في سمات شعرهن الفنية أن بعضهن تعمدن استعمال أوزان خفيفة وبحور مجزوءة سهلة تصور حياتهن لاسيما في الغزل كقول أم الكرام:

في استعمالها البحر السريع

يا معشر الناس أفعجبوا	ما جنته لوعه الحب
لولاه لم ينزل بدر الدجى	من أفاقه العلوي للترب
حسبي بمن أهواه لو انه	فارقني تابعه قلبي <sup>1</sup>

كما عمدت الشاعرة بثينة بنت المعتمد في قصيدة لها في الفخر إلى تكرار حروف ذات صوت عال كالقاف الراء السين الدال لتصنع التناغم الداخلي والتناسق الضمني في شعرها تقول:

من عزا المجد إلينا قد صدق	لم يلم من قال مهما قال حق
مجدنا الشمس سناء وسنى	من يرم ستر سناها لم يطلق
أيها الناعي إليها مجدنا	هل يضر المجد إن خطب طرق

من خلال هذه الأبيات نجد أن حرف القاف تكرر خمس مرات والنون أربع مرات.

<sup>1</sup> سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي عصر الطائف من سنة (400هـ، 484هـ)، ص168.

فاعتماد الشعراء على الأنغام الموسيقية يدل على الشعور المرهف فكن حقا شاعرات ذات مواهب وتوسع أشعارهن والموسيقى الشعرية أهم عناصر الشعر وهي عنصر جوهرى ولا قوام للشعر دونها فهي تؤثر تأثيرا فعالا في بلورة التشكيل الجمالي للنص الشعري.

لقد ساعدت البيئة الأندلسية على ازدهار تيار الغزل، وكذلك امتزاج العرب بسكان الجزيرة الأندلسية وحياتهم حياة حضرية ناعمة مترفة هيأت لهم سبل اللهو والمجون، وحررتهم من كثير من الأغلال والتقاليد الموروثة كما كان للأندلس حظ كبير من الجمال البشري مما جعل ألسنة الشعراء تقول ألعانا عذبة في وصف هذا الجمال الفاتن الذي ملك قلوبهم.

#### رابعاً- ظاهرة الغلمان في المجتمع الأندلسي:

لعل أبرز الظواهر التي تستوقف أي باحث في التاريخ الأندلسي ظاهرة الغلمان التي صارت جزء من نمط معيشة الرجل الأندلسي، فصار التغزل بهم من البديهيات ويعود سبب ظهور هذه الظاهرة إلى ما اشتهرت به الأندلس من الوسامة والنظافة كما كانت الأندلس توفر فرصة الالتقاء بالغلمان بشكل سهل جدا، فمنهم السقاة في الحانات والخدم في بيوت الأغنياء ومنهم أيضا من كان يقوم بخدمة الشعراء في مجالسهم وبيوتهم، وقد ظهر في الأندلس شعراء كانوا وراء إبراز ظاهرة التغزل بالمذكر معبرين عن ولعهم الشديد بالغلمان، ويقال أنه كان في اشبيليا غلام يدعى موسى أكثر شعراء اشبيلية من التغزل به وقيل فيه:

فر إلى الجنة حوريها

وارتفع الحسن من الأرض

وأصبح العشاق في مأتم

بعضهم يبكي إلى بعض .

ومن خلال هذا نلاحظ أن الإنسان يضطر إلى التضحية بكرامته وعنفوانه وينساق راضيا إلى ارتكاب القبائح غير أنه بالذلل، ونجد حب الغلمان والتعلق بهم في المجتمع الأندلسي صار بضاعة والتغزل بالمذكر عادة رائجة، أقبل عليها الأندلسيون يعجبون بها.

ولا شك أن ميل الرجال إلى الغلمان ظاهرة خطيرة تعكس اتجاهها شاذاً للطبيعة البشرية، وأصبح سلوك لانتهاك الرجولة وتبقى هذه الظاهرة حالة اجتماعية تعكس ما أصيب به المجتمع الأندلسي من تحرر حتى الاستهتار والعبث بالقيم والمبادئ وتعد من سيئات ما تميزت به من حركة التفاعل بين الأندلسيين والمشارك.

### 01- ظاهرة عشق الغلمان في الأندلس (قراءة في الأسباب والمعتقد)

حب الغلمان هي ظاهرة اجتماعية متمثلة في العلاقات الجنسية التي كانت تحت بين رجل راشد و غلام مراهق وهذه الظاهرة والتغزل بهم كانت منتشرة ومألوفة في المجتمعات القديمة لدى الإغريق والرومان، ولوحظ انتشارها في المجتمعات البدائية ولم يكن هذا الغزل عيباً.

إن المتتبع لموضوع الانحراف الأخلاقي في المجتمع الأندلسي يجد أنه ظاهرة سيئة جعلت منه موضوعاً متشعباً ومفتوحاً على إشكاليات ومقاربات تاريخية وفقهية واجتماعية وضمن جدليات تجاذبتها ثنائيات عديدة ولعل هذا مرده يعود إلى كثرة الترف الذي كان يعيشه الفرد الأندلسي مما أدى إلى فساد الرجل الأندلسي فانتشرت ظاهرة عشق الغلمان في الأندلس انتشاراً كبيراً فشملت شرائح كبيرة في المجتمع الأندلسي إذ اتخذ التغزل بالغلام في الكثير من الأحيان نفس الخصائص الجسدية والحسية التي تغزل بها الشعراء بالمرأة، ولم تختلف نظرتهن للغلام من نظرتهن للمرأة، وقد انتشرت هذه الظاهرة بين أوساط المجتمع الأندلسي وأصبحت المجاهرة والمفاخرة بها على سبيل الفخر حتى صارت هذه الظاهرة علامة مميزة للمجتمع الأندلسي ومن بين أسباب انتشار هذه الظاهرة هي:

\*- البيئة الأندلسية الخصبة التي سهلت فرصة الانتقاء بالغلمان بشكل سهل جداً منهم السقاة في الحانات وخدم الأغنياء ومنهم أيضاً من كان يقوم بخدمة الشعراء في مجالسهم وبيوتهم.<sup>1</sup>

\* الحرمان الجنسي الذي ساد في الطبقات الفقيرة، ولعل ذلك يعطينا مؤشراً واضحاً في انتشار هذه الظاهرة في الأوساط الفقيرة.

<sup>1</sup> مدلج، جودت، الحب في الأندلس، ط1، دار اللسان العربي، بيروت، ص2.1.

\* البحث عن وسائل جديدة للمتعة فكان الغلام أحد هذه الوسائل في وقت صارت فيه المرأة سهلة المنال.

\* كثرة انتشار أسواق النخاسة التي يباع فيها الغلمان ورخص أسعارهم نظرا للكُم الهائل من السبي الناتجة عن الحروب والحملات العسكرية وأيضا ميل الرجال لشراء الغلمان غير مبالين بمكانتهم الاجتماعية.

إن هذه الأسباب كانت سببا في انتشار هذه الظاهرة في أوساط المجتمع الأندلسي وأصبحت سمة بارزة أقبل عليها الأندلسيون وأخذ البعض يتباهى بها في أشعاره ودواوينه الشعرية.

## 02- الطبقة السياسية وظاهرة عشق الغلمان

لم يكن رجال الحكم والسياسة في الأندلس بعيدين عن ممارسة هذه الظاهرة، إذ أن المتمعن في المصادر الأندلسية يجد انتشار كبير وواسع لهذه الظاهرة في أوساط الطبقة السياسية ومما سهل ذلك أن الأندلس كانت توفر فرصة الالتقاء بالغلمان بشكل سهل جدا ومن بينهم نذكر:

أن أحمد بن عبد الملك الوزير أهدي له غلام نصراني جميل الوجه لم تقع العيون على شبهه وفي يوم رآه الملك الناصر فقال لوزيره من أين لك هذا قال هو من عند الله، فقال له الناصر تتحفوننا بالنجوم وتستأثرون بالقمر، فاعتذر منه الوزير وبعد ذلك ببضعة أيام بعث الوزير للملك هدية وكان من جملة الهدية ذلك الغلام وقال له: يا بني كون دخيل في الهدية ولولا أنني مضطر ما سمحت بك نفسي وكتب معه هذين البيتين:

أمولاي هذا البدر سار لأفكمم ولأفق أولى بالبدور من الأرض<sup>1</sup>

ويقصد هنا بأنه بعث بغلامه الذي شبهه بالبدر إلى الملك الناصر الذي شبهه بالأفق، ويقول بان الملك هو أولى بها منه قال:

<sup>1</sup> ابن بسام، أبي الحسن علي بن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق أحسان دار الثقافة، بيروت، 1997، قسم الأول ج1، ص191.

أرضيكم بالنفس، وهي نفيسة  
ولم أر قبلي من بمهجته  
يرضي.

حسن ذلك عند الملك الناصر، وأجزل على الوزير بالمال الوفير وأكرمه وقربه منه  
وفي يوم أهديت للوزير جارية من أجمل جواري الأرض فخاف أن يراها الملك مثل ما  
حدث له مع الغلام ويطلبها لنفسه ويحرج كما أخرج من قبل، فبعث بهدية أعظم من الهدية  
الأولى وبعثها مع هذه الجارية وبعث معها بكتاب، كتب للملك فيه:

أمولاي هذي الشمس والبدر أولا      تقدم كما يلتقي القمران  
قران لعمرى بالسعادة ناطق      قدم معها في كوثر وجنان  
فما لهما والله في الحسن ثالث      ومالك في ملك البرية ثان

فتضاعف حب الملك له ولكن بعض الوشاة والحاسدين وشوا به عند الملك، وقالوا له  
بأنه ما يزال يحب الجارية التي أهداه إياها، فأراد أن يتأكد من صحة كلامهم فبعث إلى  
الوزير برسالة نعلی أساس أنها من الجارية وكتب فيها: يا مولاي إني مازلت واقعة في  
حبك، ولم أر النعيم الذي كنت فيه معك. وبعث بها مع أحد الغلمان وأوصاه أن يخبره بأنها  
من عند الجارية وخرج الغلام وبعث بها إلى الوزير وعندما قرأ ما فيها كتب على ظهر  
الورقة:

أمن بعد أحكام التجارب ينبغي      لدي سقوط العير في غابة الأسد  
ولا أنا ممن يغلب الحب عقله      ولا جاهل ما يدعيه أولو الحسد  
فان كانت روعي قد وهبتك طائعا      وكيف يرد الروح إن فارق الجسد

وعندما قرأ الملك جوابه تعجب من فطنته، وقربه من ذي قبل ولم يعد يستمع للوشاة  
فيه.

وأبان الفتنة القرطبية التي عصفت بالأندلس والتي تمخض عنها ما يسمى بعصر دول  
الطوائف الم البلاد فساد أخلاقي كبير وكانت ظاهرة عشق الغلمان واحدة من أبرز مظاهر

ذلك الفساد، فيذكر أن المعتمد بن عباد كان لديه غلام وسيم الوجه بهي الطلعة يحمل له الكأس فعشقه المعتمد عشقا كبيرا فكان حينما يناوله الكأس يتخيل المعتمد أن الشمس تهديه نورا، فانشده المعتمد شعرا قال فيه:

لله ساق مهفهف غنج      قام ليسقي فجاء بالعجب  
أهدى لنا من لطيف حكمته      في جامد الماء ذائب الذهب<sup>1</sup>

ويذكر أيضا أن المعتمد ولع واغرم بسلام يدعى سيف، وأنشد شعرا يعبر فيه عن الأم الحب والمشاعر التي يحملها له وقيل فيه:

سميت سيفاً وفي عينيك سيفان      هذا لقتلي مسلول  
وهذان

أما كفت قتلة بالسيف واحدة      حتى أتيت من الأجنان  
ثنتان

أسرته وثناني غنج مقتله      أسيرة فكلانا اسر  
عان

يا سيف أمسك بمعروف أسير هوى      لا يبتغي منك تسريحا  
بإحسان<sup>2</sup>

وبالإضافة إلى هذا يذكر ان المتوكل بن الأفضس كان له غلام جميل اسمه فعال يعشقه عشقا كبيرا فمات الغلام فطلب المتوكل من ذي الوزارتين أبي الوليد بن الخضرمي أن يرثيه بأبيات الشعر وقد قال فيه:

أودي فعال فلهفي      له ولهفتي عليه

<sup>1</sup> ابن خاقان، قلاند العقيان ومحاسن الأعيان، ص64.

<sup>2</sup> المعتمد بن عباد، أبو القاسم المعتمد على الله محمد بن عباد ديوان المعتمد بن عباد، تحقيق حامد عبد المجيد دار الكتب، ص27.

غالته أيدي المنايا      وكن في مقلتيه  
 وكان يسقي الندامى      بطرفه ويديه  
 غصن نوى وهلال      جار الكسوف عليه

ومن الوزراء الذين اشتهروا بالمجون وحب الغلمان الوزير أبو جعفر أحمد بن طلحة وقد تهتك بسلام لابن هود، فساد الأمر وبينهما وفر إلى بلاد المغرب.

أما المقتدر بن هود فتعلق بسلام جميل اسمه يحيى وكان في غاية الجمال فعلق بقلب ابن هود وكنتم حبه زمنا فانشده شعرا قائلا فيه:

يا ظبي بالله قل لي      متى ترى في حبالي

وقد استغل هذا الغلام مكانته في قلبه ووصل لدرجة القيادة إلى أن قتل فحزن عليه المقتدر حزنا شديدا.

وأصبح حب الغلمان والتعلق بهم في المجتمع الأندلسي بضاعة أقبل عليها الأندلسيون يتذوقونها ويعجبون بها.

### 03- رجال الدين وظاهرة عشق الغلمان

انتشرت ظاهرة حب الغلمان كثيرا وتوسعت في أوساط المجتمع الأندلسي والمتتبع لهذه الظاهرة يجد وقوع بعض الفقهاء ورجال الدين ضحية لهذا السلوك وهو خلق غير محمود، يذكر أن إبراهيم بن سيار كبير المعتزلة وعلو مكانته في الكلام ومعرفة الأمور الدين مكان الشيطان من نفسه وأرتكب المعاصي وقع في عشق غلام نصراني فوضع لأجله كتابا في تفضيل التثليث على التوحيد تقربا إليه فقد ضحي بدينه من أجل هذا الغلام ويذكر أن له شعرا وصف فيه غلام رقيق البشرة قال فيه:

رق فلو بزت سرابيه      علقه الجو من اللطف

يجرحه الناس بأحاطهم      ويشتكى الإيماء بالكف

وبالإضافة إلى هذا ما عرف به أبي عبد الله بن عائشة من تقوى وزهد إلا أنه هو الآخر وقع في وساوس الشيطان وحب غلام جميل وقد أنشد شعرا له فقال:

لله ليل بات عندي به      طوع يدي من مهجتي في يديه  
وبت اسقيه كؤوس الطلا      ولم أزل اسهر شوقا إليه  
عاطيته حمراء ممزوجة      كأنها تعصر من وجنتيه

ويذكر أن أبي الصلت أمية بن عبد العزيز، تغزل ماجنا في غلام كان بجانبه في المسجد غير محترم لبيت الله متجاهلا حرمة قائله:

صلى إلى جانبي من لم يزل      يصلي به قلبي نار الجحيم

أما الفقيه أبي جعفر أحمد بن يحيى الحميري فقد كان خطيبا في جامع قرطبة يقرأ فيه النحو ورغم هذا وقع في حب وعشق غلام اسمه عيسى عشقه عشقا كبيرا لكنه حينما رأى غلاما آخر اسمه محمد وقع في حبه هو الآخر لأنه كان جميل الوجه وحسن المظهر ومال إليه وقال فيه:

تبدلت من عيسى بحب محمد      هديت ولولا الله ما كنت أهنتي  
وما عن ملال كان ذاك وإنما      شريعة عيسى عطلت بمحمد<sup>1</sup>

والمتمعن في هذه الأبيات يجد أن هناك انحراف فكري واضح يتمثل في تشبيه هذين الغلامين بنبي الله عيسى ومحمد عليهما السلام ولا شيء يهمه سوى أنه وقع في حبهما وعشقهما ويفسر الحميري انتقاله من حب الغلام عيسى إلى محمد تبريرا دينيا إلى تفوق النبي محمد على النبي عيسى عليهما السلام في المحاسن والفضائل.

ولعل تأثر بعض الفقهاء بالانحرافات الخلقية التي عصفت بالمجتمع الأندلسي قد أثرت عليهم مما جعل البعض يقع في أخطاء العامة رغم المكانة العلمية والاجتماعية التي تمتعوا

<sup>1</sup> الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ج 1، تهميش إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، د، ط،

بها ووقعوا في معصية الله. رغم هذا إلا أن الدين الإسلامي وقف موقف المتشدد من هكذا ممارسات تسيء إلى سمعة المسلم وتحط من مكانته بين أبناء المجتمع.

#### 04- ظاهرة عشق الغلمان بين تجليات الأدباء والشعراء في الأندلس

يعتبر الغزل بالغلمان من أسوء حالات الغزل التي ظهرت في هذا العصر اتخذها المتهتكون والفساد والمفسدون لإشباع رغباتهم الجنسية الشاذة متخذين من نشوة السكر نافذة على أفعالهم وبلغ بهم الاستهتار، حتى جعلهم يتغزلون بالغلمان والصبيان ويفضلونهم في كثير من الأحيان على المرأة الأنيفة المتبرجة.

شاع بين شعراء الأندلس غزل الغلمان كما اتخذ التغزل بالغلام في الكثير من الأحيان نفس الخصائص الجسدية والحسية التي تغزل بها الشعراء بالمرأة ولم تختلف نظرتهم للغلام عن نظرتهم للمرأة فتغزلوا في أشعارهم بعيونهم وخدودهم وقوامهم وعشقوا رقتهم وغنجهم ودلالهم وخاصة السقاة والراقصين، ولم يكن شعراء الأندلس جميعهم

على هذا المنوال فمنهم من رفض هذه الظاهرة ومنهم من كان له نصيبا من هذه الظاهرة ومنهم من رفضها ومن خلال انقساموا إلى فريقين أحدها يذم أهل تلك الظاهرة والثاني يمتدحها.

وقد حفل تاريخ الأندلس شعراء وأدباء افتتنوا بظاهرة عشق الغلمان وكان من أبرزهم الشاعر ابن عمار الذي عاش حياة مترفة في قصور بني عباد فشغف بالغلمان والتغزل بهم وعشق عبدا من عبيد المؤتمن بن هود فانشده شعرا وقال فيه:

وأغيد من ظباء الروح عاط      بسالفتيه من دمعي فريد .

نبيل الخلق جافي الخلق عبد      هو المولى ونحن له عبيد

أما الشاعر إدريس اليابسي فقد عشق غلاما رآه في الحمام فتغزل به فقال:

توحش بالظلماء وهو صباح      فأمرضت الأبواب وهو صباح

وظل فؤادي طائرا عن جوانحي      وليس له إلا الغرام جناح

قضييب صباح في دجنة  
ألا ليتني تحت الوشاح وشاح  
ولا عجب أن أفسدتني جفونه  
فكل فساد في هواه صلاح.  
ويبدو أن الشاعر الرمادي كان مولعا بعشق الغلمان فما إن سجن معه غلام عشقه  
ووقع في حبه فكتب شعرا قال فيه:

حبيسك ممن أتلف الحب قلبه  
ويلذع قلبي حرقة دونها الجمر  
هلال وفي غير السماء طلوعه  
ورئم ولكن ليس مسكنه القفر  
تأملت عينيه فخامرني السكر  
ولا شك في أن العيون هي الخمر  
أناطقه كيما أقول وإنما  
أناطقه عمدا لينثر الدر  
أنا عبده وهو المليك كما اسمه  
فلي منه شطر كامل وله الشطر<sup>1</sup>

ومن هنا نخلص للقول جسدت ظاهرة عشق الغلمان في الأندلس والتغزل بهم علامة  
من علامات المجتمع حتى صارت هذه الظاهرة من الظواهر المهمة التي شكلت ملامح  
المجتمع الأندلسي وحظي الغلمان بمكانة عظيمة في قصور الخلفاء والأمراء.

<sup>1</sup> ابن خاقان، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس دراسة وتحقيق محمد علي شوابكة، ص316.

خاتمة

الرق ظاهرة تاريخية قديمة ارتبط ظهورها بتطور مفهوم الملكية وبإدراك الإنسان البدائي أنه يستطيع الانتفاع بالأسير المهزوم بتشغيله بدل قتله ليشتغل الرقيق في البداية في الأرض والأعمال الزراعية فيصبح استعمال الرق شائعا في مختلف الحضارات القديمة التي حاولت إيجاد مبررات للرق.

من خلال دراستنا لموضوع الحضور الثقافي والأدبي لعبيد الأندلس، توصلنا إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- إن مصادر الرقيق بالرغم من تعددها إلا أن أعداده كانت مصدرها الأساسي هو السبي لأنه يوفر كم هائلا من المسترقين بجميع أنواعه.
- أن الرقيق لعب دور مهم وبارز في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، حيث كان سندا كبيرا لسلطة، وقاموا بتولي مناصب حساسة
- لقد ساهم الرقيق في الحياة الثقافية من خلال مساهمة بعضهم في إثراء الحياة الأدبية والعلمية وتحريك عجلة الأدب فكان العبيد يقومون بنظم أبيات شعرية، واستطاعوا تكوين طبقة من الرقيق المثقف.
- ساهمت الجواري في نشر الأدب والعلوم والغناء، وكان للجواري المشرقيات الوافدات على الأندلس نصيب في تأسيس حركة الغناء في الأندلس.
- أدى انتشار الجواري وكثرتهم إلى رفع المعايير التي طلبها الأندلسيون عند شراء الجواري، فقاموا بطلب الجمال، والعلم الواسع.
- أصبحت ظاهرة عشق الغلمان في الأندلس والتغزل بهم علامة من علامات المجتمع، حتى صارت من الظواهر المهمة التي شكلت ملامح المجتمع الأندلسي.
- لم تقتصر ظاهرة عشق الغلمان على فئة معينة من فئات المجتمع الأندلسي بل اتسعت على جميع فئات المجتمع: سياسيا، دينيا، أدبيا.
- انتشار ظاهرة التغزل بالغلمان وعشقهم بين الشعراء بصورة كبيرة جدا لم يشهدها الشعراء من قبل، إلا أنهم كانوا متحفظين اتجاه هذا النوع من الشعر وذلك نظرا لمكانتهم الاجتماعية.

- ممارسة بعض من رجال الدين لممارسة هذه الظاهرة، إلا أن الدين الإسلامي وقف موقف متشدد من هذه الأساليب لإسائها للفرد والمجتمع.
- رغم انتشار مثل هذه الظواهر في المجتمع الأندلسي، إلا أننا لا ننسى ونتجاهل المساهمات الفكرية وغيرها التي ساهم الأندلسي في انتشارها، حيث كانت الأندلس محطة أنظار العالم، وذلك لما تتوفر عليه من تطور وتقدم حضاري كبير شمل جميع الميادين.

الملاحق

## ملحق 1

### عيوب الرقيق

من بعض عيوب الرقيق الجنون والجذام والبرص والفالج والقطع والشلل والعمى والعمور والصرم والخرس وبياض العين والحدب والجب والإفشاء، والخصاء والزرع، وبياض الشعر، والزلل الفاحش والزنا والسرققة والقمل والاباق وولد الزنا والبخر، والخيلائن في الوجه والزواج والعدة والدين والأبوان والولد والأخ والبول في الفراش، والحمل والاستحاضة وارتفاع الحيض أكثر من خمسة وأربعين يوماً. ونقصان السن الواحدة، وتختص الرابعة دون الوحش بنقصان السن وصهوة الشعر والشيب وزوال الأنمة.<sup>57</sup>

---

<sup>57</sup> عبد الإله بنمليح المرجع السابق، الملحق رقم 12، ص 566.

## ملحق 2:

الأسماء المشتركة بين العبيد والأحرار:

- الغلام: وهو العبيد الذي بلغ سن الخدمة، وتطلق على الحر من نفس السن، وجمعها غلمان.
  - الخادم: وجمعها خدم، وخدام، وهي مشتقة من خدم، أي أدى العمل وقضى حاجة الآخر.
  - الوصيف: وتجمع على وصفاء، ويقال: وصف الغلام، وأوصف: بلغ أوان الخدمة.
  - الماهن: جمعها مهان، وهو العبد والخادم، ويقال: مهن فلانا يمهنه مهنا، ومهنة: خدمة، ومنه حديث سليمان "أكره أن أجعل على ماهن مهنتين، أي لا أضيف على خادمي عمليين في وقت واحد."
  - الحشم: وهم خاصة الرجل من خدم وعيال
  - الخول: وتطلق على العبيد والإماء وغيرهم من الحاشية، والمؤنث والمفرد سواء، ويقال استخول القوم، واتخذهم خولا. ومنها الخولي، وهو الشخص الذي يرعى الغنم فيحسن القيام عليهم.
  - القطين: تستعمل للمفرد والجمع، وتعني الخدم والحشم، والأتباع.
- الأسماء الخاصة بالعبيد:

- ✓ الطوائف: وهو المملوك، يخدمك برفق وعناية، وتجمع على طوافين.
- ✓ القن: عبد مملوك هو وأبواه، وتستعمل للواحد وللجمع، وتجمع أيضا على أقنان وأقنة.
- ✓ المسبع: وهو العبد الذي له سبعة أبناء في العبودية.
- ✓ المكرس: هو الشخص الذي ولدته أمتان، أو ثلاثة.
- ✓ اللكع: وهو العبد واللثيم، والاثنان ذو لكع وتجمع على اللكع.<sup>58</sup>

<sup>58</sup> عيوني محمد، دور الرقيق في الحياة السياسية والثقافية ببلاد المغرب والأندلس خلال القرنين 5/4 الهجريين، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية تخصص حضارة إسلامية، السنة الجامعية 2012/2013 الملحق رقم 1 ص 111.

## المخلص:

يعتبر نظام الرق من أبرز الأنظمة الاجتماعية التي ميزت العصر الوسيط، ولا نجد أي مجتمع من مجتمعات ذلك العصر قد تخطى هذا التصنيف، وعليه رتب البشر حسب الوضعية القانونية بين أحرار وعبيد، وطبقة العبيد رمي أفرادها في حيز هامشي فرضته عليهم الذهنية الاجتماعية، ومن بين فئات طبقة الرقيق نجد فئتي الجواري والغلمان واللذان مثلنا شريحة مهمة على مستوى الخارطة الاجتماعية للمجتمع الأندلسي، ولهذا كان لابد من معالجة هذا الموضوع في قالب تاريخي اجتماعي، ومحاولة تفكيك إشكالية لطالما شغلت ذهن المهتمين بدراسة الفئات المهشمة، والمتمثلة في الغاية من اتخاذ الجواري والغلمان، لا سيما في المجتمع الأندلسي والذي فسره البعض على أنه أزمة أخلاقية، في حين نظر إليه آخرون على أنه مرحلة حتمية من مراحل التاريخ الإنساني عامة، والأندلسي خاصة.

إن نظرة المجتمع لفئة الجواري والغلمان كانت في كثير من الأحيان وليدة القوانين الوضعية، والتي رفضت بأي شكل من الأشكال أن يتساوى الحر مع العبد، وهو ما ترسخ في مخيلة الأحرار تجاه العبيد فراحوا يعاملون الرقيق معاملة خاصة، فكان ضربهم وشتيمهم من الأمور العادية.

إن تفاعل فئة الجواري والغلمان مع مختلف فئات المجتمع الأخرى أفرزت شبكة من العلاقات التي أماطت اللثام ولو جزئياً عن الغاية من اتخاذ هذين العنصرين، واللذين كان أثرهما واضحاً في مختلف مجالات التاريخ الأندلسي، ففي المجال الاجتماعي ارتبطت الجواري بصفة خاصة بعلاقات أسرية مع الرجل الأندلسي والذي فضل في كثير من الأحيان الجارية على الحرة، وهذا راجع لعدة أسباب من أهمها سهولة الحصول على الجواري، ولا يختلف حضور الغلمان في هذا المجال كثيراً عن حضور الجواري حيث اتخذ الغلمان في بعض الأحيان كما تتخذ الجواري.

إن التنشئة الاجتماعية التي تلقاها الجواري والغلمان خلال مسارهم كانت كفيلة بان تحدد مكانتهم الطبقيّة والتي تجاذبت أطرافها بين العلية والرديء من الناس، فمنهم من استخدم للمتعة، ومنهم من اتخذ للذة، وكان سوق الرقيق كان يعج بأنواع وأجناس شتى من

الجواري والغلمان، وتداول تجارتهم العديد من النخاسين وتجار الرقيق، حيث تدخل الأطباء والأمينات لمعاينة الجواري والغلمان قبل بيعهم، بحيث كان يتم تقليبهم كما تقلب أي سلعة أخرى، وقد تعرضوا للغش والتدليس بتغيير أشكالهم وألوانهم، وتسمين أعضائهم وأبدانهم.

## قائمة المصادر والمراجع

## قائمة المصادر والمراجع

### ❖ القرآن الكريم (رواية ورش)

#### ❖ أولا- المصادر:

✓ ابن منظور، لسان العرب، مادة (قين).

✓ عبد الإله بنمليح: الرق في بلاد المغرب والأندلس.

#### ❖ ثانيا- المراجع:

✓ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس، دار الطبعة، بيروت، د.ط، 1988.

✓ ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن شرح السيد أحمد صقر، دار التراث، ط2، 1973.

✓ أحمد أمين: ظهر دار الكتب العلمية، ج1، بيروت ط2، بيروت 2004، ص8.

✓ حسن يوسف موسى، عبد الفتاح الصعيدي، الإفصاح في فقه اللغة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1929.

✓ حسين مؤنس، فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (756-711م) دار المناهل، ط1، بيروت، 2002، ص:429-430

✓ خالد حسن حمد الجبالي: الزواج المختلط بين المسلمين والاسبان من الفتح الإسلامي للأندلس.

✓ سعد بوفلاحة: الشعر النسوي الأندلسي أغراضه وخصائصه الفنية.

✓ سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي عصر الطوائف من سنة (400هـ

✓ عبد الله التجاني، متعة العروس ومتعة النفوس، تج، جليل العطية، رياض الريس للكتب والنشر 1992.

✓ عايدة العزب موسى: تجارة العبيد في إفريقيا، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 2007.

✓ عبد المجيد نعنعي: تاريخ الدولة الأموية في الأندلس التاريخ السياسي، دار النهضة العربية بلبنان.

- ✓ عز الدين عمر موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس للهجري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003، ط2، ص115.
- ✓ فوزي عيسى: شاعرات الأندلس والمغرب، دار المعرفة الجامعية والإسكندرية، مصر، د.ط.
- ✓ كمال السيد أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية في العصر الإسلامي (95هـ - 495هـ/714م - 1102م) دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، مركز الإسكندرية للكتاب، د.ط.
- ✓ لويس معلوف، المنجد، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط19.

#### ❖ ثالثاً- الرسائل والأطروحات الجامعية:

- ✓ بو عدي بن عيسى، الأستاذ إدريس مصطفى، الحياة الاجتماعية في الأندلس من خلال كتاب القضاة بقرطبة للخشني (ت361هـ)، مذكرة لنيل درجة ماستر في تاريخ السياسي والحضاري للأندلس، الموسم الجامعي 2017/ 2018.
- ✓ عيوني محمد، دور الرقيق في الحياة السياسية والثقافية ببلاد المغرب والأندلس خلال القرنين 5/4 الهجريين، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية تخصص حضارة إسلامية، السنة الجامعية 2012/2013.

#### ❖ رابعاً- المجلات والدوريات:

- ✓ أحلام حسن مصطفى النقيب: العلاقات التجارية بين الأندلس والممالك الإسبانية على عصري الإمارة والخلافة (399-138هـ / 755- 1008م)، مجلة سر من رأى، كلية التربية، جامعة الموصل، العراق، العدد11، مج4.
- ✓ أفاق لازم عبد اللطيف، د.صبح نوري خلف الحلفي، مجلة واسط للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، كلية التربية للبنات.

# فهرس المحتويات

## فهرس المحتويات

شكر	
إهداء	
مقدمة	أ-ب-ج
<b>مدخل: التركيبة الاجتماعية للأندلس</b>	
1: التركيب العرقي	05
2: بنية المجتمع الأندلسي	10
<b>الفصل الأول: الرقيق في الأندلس: المصادر – الأصناف – الأدوار في الفترة الممتدة بين القرنين الخامس والسادس الهجريين.</b>	
أولا – الرق المدلول اللغوي والاصطلاحي	15
ثانيا – الرق في الإسلام ومعاملته	15
ثالثا: مصادر الرقيق	17
أ- السبي	17
ب- الخطف	18
ج- الهدية	18
رابعا: أصناف الرقيق	18
أ- الرقيق الصقالبة	18
ب- الرقيق السوداني	19
ج- الرقيق البربري	20
خامسا: أدوار الرقيق	20
01- دور الرقيق في الحياة السياسية	21
أ- رقيق البلاط	21
ب- الرقيق في الجيش الأموي	22
ج- دور الجوارى في الحياة السياسية	22
د- المرأة ودورها الاجتماعي	23

24	02: دور الرقيق في الحياة الاقتصادية
24	03: دور الرقيق في الحياة الاجتماعية
25	04: دور الرقيق في الحياة الثقافية
26	أ- تعليم الرقيق
26	ب- العطاء الثقافي
27	ج- مساهمات الرقيق في الحياة الأدبية
27	د- الرقيق في موضوع الشعر
27	هـ- التغزل بالجواري

## الفصل الثاني: الخدم ودورهم الثقافي والاجتماعي في الأندلس

30	أولاً: تعريف الخدم لغة واصطلاحاً
30	1- آداب الخدمة
31	2- أصناف الخدم
31	أ- الوظائف في القصور
31	1- الطباخ
32	2- الخياط
32	3- حراس الأبواب
32	4- المربية
32	5- خادم القصر
33	6- الطبيب
33	ب- وظائف الخدم الخاصة بالحكام
33	1- الطبيب
33	2- صاحب الوضوء
33	3- المزين
34	ج- وظائف أخرى
34	1- الفراشون

34.....2- السقاعون 34

34.....3- الحمالون 34

34.....4- البوابون 34

36.....5- الطبالون 36

36.....6- البواقون 36

34.....7- عامل الاصطبل 34

34.....ثانيا: دور الخدم في الحياة الثقافية 34

35.....1- الخدم في المكتبات 35

35.....2- الخدم في المدارس 35

36.....ثالثا: دور الخدم في الحياة الاجتماعية والصحية 36

36.....1- الخدم في الحمامات العامة والخاصة 36

36.....2- الخدم في الخانات 36

36.....3- الخدم في السجون 36

## الفصل الثالث: الجواري والغلمان وأثرهم في الشعر والمجتمع الأندلسي

39.....أولا- مسميات الجواري في الأندلس 39

39.....أ- القيان 39

39.....ب- السرية 39

40.....ج- الأم 40

40.....د- الرق 40

40.....هـ- الجارية 40

40.....ثانيا: أنواع الجواري في الأندلس 40

41.....أ- جواري اللذة 41

41.....ب- أمهات الأولاد 41

42.....ج- جواري الخدمة 42

42.....ثالثا- المرأة الأندلسية والشعر 42

43	02- موضوعات شعر الجواري
44	أ- الغزل
52	ب- المدح
54	ج- الرثاء
55	د- الفخر
55	هـ- الحنين إلى الشرق
56	03- خصائص شعر الجواري
56	أ- المفردات والتراكيب
56	ب- المحسنات البديعية
58	ج- الموسيقى الشعرية
59	رابعاً- ظاهرة الغلمان في المجتمع الأندلسي
60	1: ظاهرة عشق الغلمان في المجتمع الأندلسي (قراءة في الأسباب والمعتقد)
61	2: الطبقة السياسية وظاهرة عشق الغلمان
64	3: رجال الدين وظاهرة عشق الغلمان
66	4: ظاهرة عشق الغلمان بين تجليات الأدباء والشعراء في الأندلس
70	خاتمة
73	ملاحق
78	قائمة المصادر والمراجع
81	فهرس المحتويات